تراث مصر
في الحضارة الإسلامية

القائمقام

عبد الرحمن زكي

مدير المتحف الحربي



تراث مصر
في الحضارة الإسلامية

القائمقام

عبد الرحمن زكي

مدير المتحف الحربي
زميل الجمعية الملكية للدراسات التاريخية
عضو المجلس الأعلى للآثار

دار النيل للطباعة
١٩٥١

المادة الأصلية فى هذه الرسالة مقال المستشرق الانجليزى مستر ا. ج. أربرى. وقد تضمنه كتاب تراث مصر The Legacy of Egypt الذى أشرف على نشره مستر س. ر. جلانفيل وأخرجته مطبعة أوكسفورد فى عام ١٩٤٢ و ١٩٤٣ و ١٩٤٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

[نحاول فى الصفحات التالية أن نلم بنصيب مصر فى تراث الحضارة الإسلامية التى ازدهرت فى قسم كبير من أنحاء العالم إلى أن طغى سيل المدنية الغربية على أغلب الدول الإسلامية]

* * *

لم يكن فى وسع مصر ، وقد أنهكها الاحتلال البيزنطى قروناً عديدة ، وعمها الإفلاس الروحى والمادى — أن تقاوم الفتح العربى بعد وفاة النبى على أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فإنه لم تنقض على قيام الخلافة بضعة أعوام حتى سقطت على يد قادة المسلمين امبراطورية إيران وتقلص نفوذ بيزنطة فى الشرق الأوسط ، وحاز المسلمون الانتصارات الرائعة فى الشام والعراق وغيرهما . ولا مراء فى أن أرضاً خصبة غنية تمتاز بموقع حربى هام ، كمصر ؛ فضلا عن أنها تهدد المواصلات الطبيعية للفتوح الإسلامية عبر شمال أفريقية .. ليس من اليسير أن تغيب عن تفكير وخطة قائد يجيش صدره بالأمانى . وعلى هذا لم يكد يهل عام ٦٣٩ م حتى كان القائد عمرو بن العاص قد دفع قواته مجتازاً بهم صحراء سيناء متقدماً نحو الغرب . وتسنى له بعد حصار لم يطل أكثر من شهر واحد ، أن يقتحم بليزيوم[1] وأن يصطدم بالجيوش البيزنطية تحت قيادة «قيروس» و « تيودور » . واستطاع عمرو أن يحتجز «قيروس» محصوراً فى بابليون — المعسكر الرومانى — حتى وافق على شروط الصلح وانضم على أنصاره فى اسكندرية . بيد أن الإمبرطور هرقل لم يرتض تلك الشروط وأقصى

(١) بلوز اسمها بالقبطية پرمون ويسميها العرب (الفرما) . وكانت على نهد من الأرض على نحو ميل ونصف من البحر — قوية الحصون وكانت تعتبر مفتاح مصر من الشرق .

« قيروس » عن قيادة جنده . ومع هذا لم تلبث بابليون — عقب تطويق دام سبعة أشهر — أن سقطت فى قبضة العرب الفاتحين .

واستأنف جيش المسلمين سيره صوب اسكندرية .

وأقبل عام ٦٤١ م ومات هرقل ... فكان موته مصيبة فادحة لقضية بيزنطة ، نظراً لأن خليفته من بعده ، وهو ابنه كونستانس الثانى ، لم يكن ناضج الفكر والتقدير ورضى أن ينقل جيشه من مصر فى سبتمبر عام ٦٤٢ م

وفى عام ٦٤٥ م قام البيزنطيون بمحاولة لم تكن مجدية لاستعادة الإسكندرية بهجوم من البحر . ولكن عمرو الذى استدعى على عجل ليتولى قيادة العمليات الحربية ضد الروم استطاع أن يقضى على تينك الآمال وأن يهزم الروم ، بل ويمزق ما كان لهم من أشياع بين الأهلين .

ولم يكد يأتى عام ٦٤٦ م حتى تخلصت مصر نهائياً من أى سلطان لأحد غير العرب .

وهكذا انتقلت مصر التى بقيت عدة قرون مركز العلوم اليونانية وميدان صراع المعتقدات المسيحية ، إلى يد العرب ، ولتظل منذ ذلك التاريخ ، دولة إسلامية إن لم تكن حجر الزاوية فى بناء العالم الإسلامى بأسره .

وبقيت مصر لأكثر من قرنين من الزمان يتولى أمرها ولاة من العرب يبعثهم الخلفاء من المدينة أو دمشق أو بغداد . وأصبح الإسلام دين الأغلبية فى وادى النيل منذ القرن التاسع الميلادى . وتحولت البلاد من جراء موجات المهاجرين الذين يفدون إليها من العالم الإسلامى فى الشرق حتى أمست ولاية عربية إلى أقصى ما يتسنى أن يكون لهذه الكلمة من معنى (١) .

وفى عام ٨٦٨ م (٢٥٤ هـ) عين أحمد بن طولون ، وهو تركى المولد ، والياً على

---

(١) الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى فجر الإسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية . دار الفكر العربى . عام ١٩٤٧

مصر . وما إن استتب له الأمر حتى أعلن استقلاله عن الخليفة العباسى . وأنشأ حكومة فى القطائع — عاصمته الجديدة فى مصر، عرفت باسم الدولة الطولونية . وظلت تلى الحكم إلى عام ٩٠٥ م حينما عادت مصر لأحضان العباسيين لمدة ثلاثين سنة .

ولقد أفادت مصر من حكم الأسرة الطولونية وساد فيها رخاء نسبى ، وأصبحت تخشاها الدولة العباسية ويخطب البيزيطيون ودها بإرسال الهدايا النفيسة و إطلاق الأسرى المسلمين[١] واستطاع ابن طولون فتح سورية . وأصبحت مصر فى عهده مستقلة للمرة الأولى بعد عصر البطالمة . وعاد إليها سلطانها على الشام للمرة الأولى بعد عصر الفراعنة[٢] .

وفى عام ٩٣٥ م (٣٢٣ هـ) استطاع محمد بن طغج التركى الأصل أن ينظم أمور مصر التى اضطربت منذ سقوط بنى طولون . وأن يؤسس الدولة الأخشيدية فى مصر وأن يحصل على قسط وافر من الاستقلال . ونسج على منوال سلفه ابن طولون فاستولى على الشام ثم ضم إلى حكمه مكة والمدينة ، وأصبح مصير الحجاز متصلاً بوادى النيل لعدة قرون بعد ذلك[٣] .

واستمرت الدولة الأخشيدية بدورها لأربع وثلاثين سنة تنهض بأمور مصر حتى سقطت عام ٩٦٩ م (٣٥٨ هـ) . وقد كان يهددها القرامطة فى الشرق والفاطميون فى الغرب وملك النوبة فى الجنوب والقحط والوباء واضطراب الأمن فى مصر نفسها[٤] .

وفى إبان هذا كانت كل العوامل تساعد على قيام دولة فى شمال أفريقية يوجدها

---

(١) Dr. Zaky M. Hassan : Les Tulinides. P. 157 — 159

(٢) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية . ص ٥

(٣) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية . ص ٦

(٤) الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عصر الإخشيديين — جامعة فؤاد الأول عام ١٩٥٠ .

الشيعة ويكونونها كقوة تقف قبالة العباسيين فى الشرق[1] وتسنى لأولئك الذين قالوا بانتسابهم لفاطمة الزهراء بنت النبي الكريم أن يستولوا على مصر وأن يجعلوا منها أهم ولاية فى امبرطورية الفاطميين . وبقيت القاهرة قرنين من الزمان (٩٦٩ م إلى ١١٧١م) عاصمة لهذه الدولة العظيمة حتى استقلت ثانية تحت حكم الأيوبيين بعد أن ذبل نفوذ الخلفاء الفاطميين .

ولكن مما هو جدير بالذكر هو أن الأمبراطورية الفاطمية كانت قد بلغت أوج عزها فى عصر العزيز حين كان يدعى له فى خطبة الجمعة بالمساجد الواقعة بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسى وفى الشام وفى الحجاز واليمن . حتى تضاءلت الخلافة العباسية إلى جانب خلافة الفاطميين .

ثم قامت على ضفاف النيل أسرة صلاح الدين الأيوبى (١١٧١ — ١٢٥٠م) وقد امتد حكمها إلى الشام ومكة والمدينة واليمن ، ولم يبق للخليفة العباسى سوى ظل ضئيل من سلطان الخلفاء .

وقد حدث كل هذا بينما كان صلاح الدين وأشقاؤه وأبناؤهم يناضلون الصليبيين فى حروب مريرة بالشام وفلسطين . وكان للأيوبيين الفضل فى حماية وادى النيل من هجمات الصليبيين . ومع ذلك فقد سقطت الدولة الأيوبية عند ما ألفت السلطانة شجرة الدر أرملة السلطان الصالح نجم الدين أيوب دولة سلاطين المماليك البحرية . تلك الأسرة التى افتتحت عهدها بالقضاء على غزوة الصليبيين ضد مصر فى معركة المنصورة — كما قضى السلطان بيبرس على غزوة المغول فى معركة عين جالوت (١٢٧٠ م) .

وخلف هؤلاء ، سلاطين المماليك الشراكسة الذين استمر سلطانهم إلى سنة ١٥١٧م

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن والأستاذ طه أحمد شرف : عبيد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب ١٩٤٧ .
انظر أيضاً لهما : المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر ١٩٤٨

(٩٢٢ هـ) . وهؤلاء بالرغم من عيوبهم ، قد أفلحوا فى شيئين ؛ أولها : إقامة امبراطورية إسلامية عظيمة فى الشرق الأدنى . وثانيهما : تشييدهم العمائر الجميلة التى ما زالت تزين القاهرة فى القرن العشرين بروعتها وفخامتها .

وأخيراً استطاع السلطان سليم الأول العثمانى أن ينتحل المعاذير فأخذ على المماليك أنهم كانوا يجيرون من يلتجئ إليهم من أعدائه ، وأنهم كانوا يوالون عدوه الشاه إسماعيل الصفوى الإيرانى . فدبر هذا السلطان الحرب على مصر وغزا الشام وهزم السلطان الغورى فى معركة مرج دابق (١٥١٧) وقضى على السلطان طومان باى فى الريدانية .

وهكذا ارتدت مصر مرة أخرى إلى ولاية تابعة لدولة أخرى إسلامية حاضرتها فى خارج الأراضى المصرية .. هى الأستانة .

ومعنى هـذا أن مصر كانت فى الفترة الواقعة بين عامى ٨٦٨ و١٥١٧ م — أى لمدة ٦٤٩ سنة — أو بعبارة أخرى ستة قرون ونصف القرن — فى صورة دولة مستقلة يتولى أمرها أسر من أصل أجنبى ... ولكن لها طابعها المصرى القومى — الشىء الذى لا يجعل الحديث صحيحاً إذا استسغنا القول بأن هـذه الأسر دول أجنبية تولت حكم مصر . إذ الواقع أن مصر استطاعت أن تأقلم هؤلاء الناس فجعلت منهم مصريين على رأس حكومة قوامها من المصريين الأصليين أو المتأقلمين .. ولهذا قد يكون من الأصلح أن يقال إن هذه الأسر المسلمة الصميمة إنما هى دويلات من الأصل العام خرجت على بعضها البعض — دون أن تعدل شيئاً فى كيان الدولة الأصلى . فليست هناك فواصل تفرق بين كل منها والأخرى . أو تجعل من أيها صورة أخرى غير الصورة التى للأولى . أو تجعل لها طابعاً خاصا غير طابع الأولى . . فكلها كانت متماثلة الصور . وكل ما هنـاك من فرق هو الاسم الذى وسمت به فى كتب التاريخ التى هدفت أن تصور مصر فى أقرب عصورها للنهضة الحديثة ، تنتقل من إيالة تابعة للرومان إلى إيالة تابعة للعرب فولاية فى امبراطورية العثمانيين — وهذه هى أبشع صور التدليس التاريخى فى تسجيل تاريخ الأمم .

وفى عام ١٧٩٨ قدم نابليون إلى مصر فى طريقه نحو الشرق . وتعتبر حملة نابليون مرحلة الانتقال بين التاريخ الوسيط والتاريخ الحديث لمصر — ولكن القوات الفرنسية لم تمكث فى مصر طويلا ، و إن كانت قد خلفت وراءها بعض الأثر فى الأفكار السياسية والاجتماعية . وعادت مصر إلى حكم العثمانيين . بيد أن اضطراب الأحوال جعل البلاد صالحة لإنشاء دولة مصرية جديدة بفضل محمد على الكبير ثم لخلفائه من أبناء البيت العلوى فانتهت الحماية العثمانية (١٩١٤) وأعلن استقلال مصر فى عام ١٩٢٢ فى أثناء حكم السلطان فؤاد رحمه الله ، وصفى الموقف السياسى فى عام ١٩٣٦ فى المعاهدة المصرية البريطانية . وما زال الجهاد السياسى مستمراً على عهد الملك فاروق .

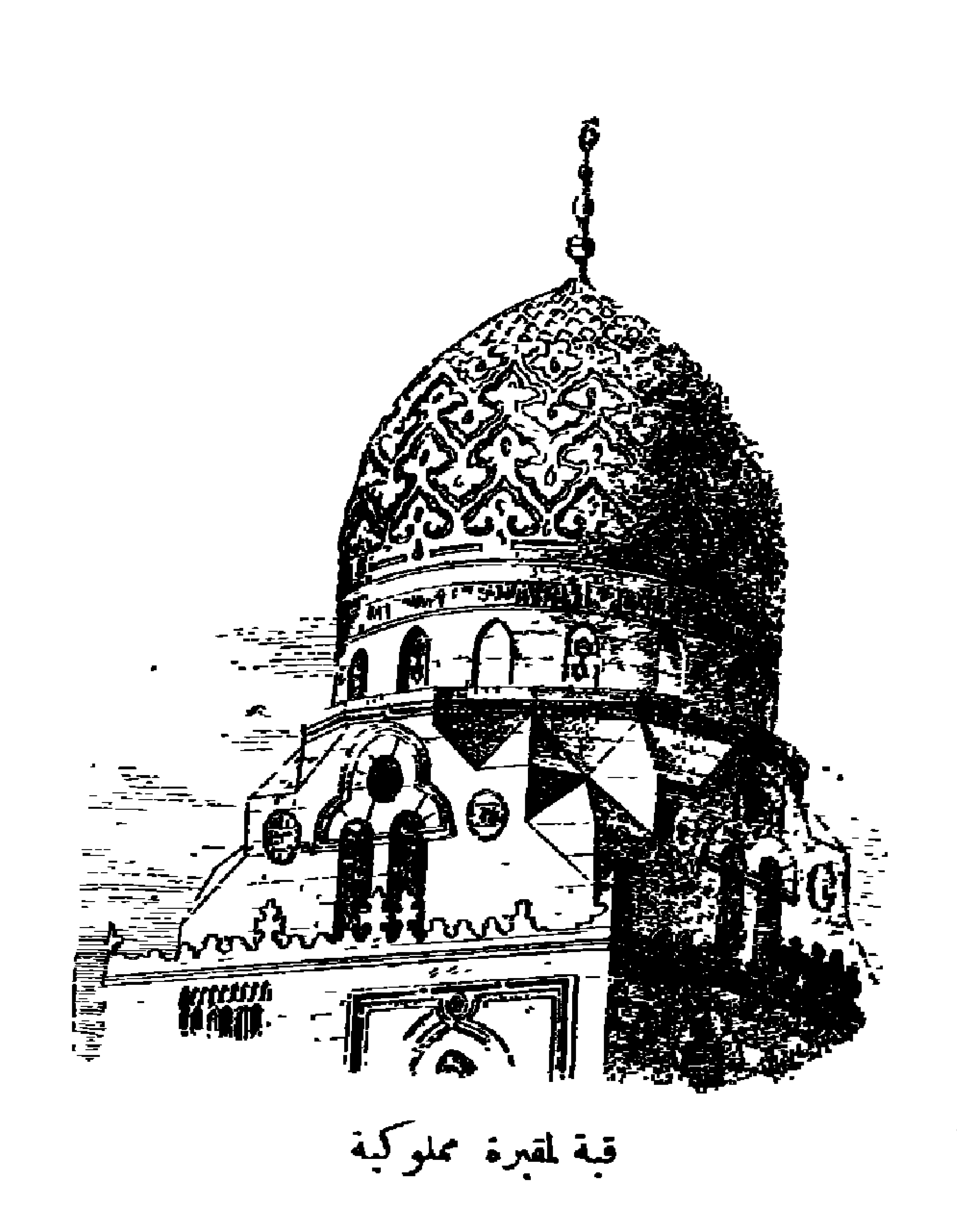
من البين أنه من الصعوبة بمكان إن لم يكن من ضروب المستحيلات أن نقدر الدور أو النصيب الذى ساهمت به مصر وحدها كدولة فى بناء الإسلام . والنظرية السياسية التى تكمن فى أعطاف الدين الإسلامى تتحدث عن مبدأ له قوته : هو أن الحدود السياسية لا معنى لها حيث يكون للحكم الإسلامى سلطانه على الناس والأرض . فالعالم ينقسم إزاء هذا المبدأ إلى قسمين : دار السلام وهى البقاع التى يعيش فيها المسلمون ويحكمونها ؛ ثم دار الحرب وهى البقاع التى ليس للدين الإسلامى سلطان فيها . ومن واجب المسلمين جلهم أن يشنوا على هذه البقاع حرباً مقدسة أى أن يجاهدوا فى سبيل نشر الدين الإسلامى فيها . والاسلام عقيدة ودين لا يعرف الجنس ولا الكيان الدولى الحاضر . فالمسلمون أمة واحدة مهما تباين الجنس أو اختلفت اللغات — ولهذا فإن الأفكار والعقائد التى تتولد فى ركن ما من العالم الإسلامى تنتشر بسرعة مدهشة إلى شتى النواحى الأخرى .

ولما كانت مصر تقع فى مركز متوسط بالنسبة لمختلف الأمم الإسلامية ، فقد أعدت لتكون موطن الحركات الإسلامية برمتها . وكما كانت أيام الإغريق والنصرانية ملتقى الجمع بين الثقافتين الغربية والشرقية فصهرتهما لتتكون منهما ثقافة واحدة لها قوتها ومعنوياتها ، كان لزاماً أن تقوم بذات الدور بين ثقافتى الغرب والشرق ومدنيتيهما .

كما نلاحظ إلى اليوم أن مصر لا تزال تلعب الدور نفسه فتنقل إلى الشرق الإسلامى حضارة الغرب .

ومهما قيل فى ضآلة هذا النصيب الذى تضطلع به اليوم إلا أن له أهمية . حيث كان هذا وما زال الوضع الخاص المميز لمصر — هذا الوضع غير المنكور الذى جعل لها نصيبها فى توجيه العالم الإسلامى ، والسيطرة على جهود المسلمين وآرائهم ومقاصدهم ومصيرهم .

ولكن مصر قد ساهمت أيضاً من دم أهلها وتربتها بنصيب له أهميته فيما تيسر للعالم الإسلامى إدراكه والوصول اليه [1] .



قبة لمقبرة مملوكية

(١) مصر الظافرة — طبعة رسمية للمؤلف — عام ١٩٤٦ .

على أن مصر — فى فجر الإسلام — لم تكن شيئاً له أهمية كبرى ... كان العرب الذين وفدوا من الجزيرة هم دعاة النظام الجديد ومؤسسى المدارس الحديثة التى تتبع الشريعة الإسلامية ، وتتولى إيضاح تعاليمها الدينية والاجتماعية . وقد بقى لمذهبي المالكية والشافعية الصدارة وحدهما فى مصر حتى مستهل الحكم الفاطمى . وما إن ولى الفاطميون أمر مصر حتى أدخلوا المذهب الشيعى . فلما انتهى حكم دولتهم باتت الحنفية المذهب الرسمى للدولة بالرغم من أن المذاهب الثلاثة الأخرى ظلت مرعية الجانب وللأهلين حق اتباع أحدها وفقاً لرغباتهم الخاصة .

أصبحت مصر منذ دخول العرب اليها مركزاً علمياً فى المملكة الإسلامية . كما هى مركز سياسى[1] فكان للمصريين شأن واضح فى علم القراءات وكانوا أساتذة القراء فى الأندلس والمغرب . وكان من أقدم علماء الحديث عبد الله بن وهب المصرى صاحب كتاب « الجامع فى الحديث » .

وممن نبغوا فى علوم الدين فى المدرسة المصرية فى فجر الاسلام أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة[2] . والليث بن سعد بن عبد الرحمن الأصبهانى الأصل المصرى المولد[3] وكان ثقة كثير الحديث صحيحه اشتغل بالفتوى فى زمانه ؛ وقال قائل حين مات :

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم غريباً وقبر

وكذلك وفد الإمام الشافعى على مصر ، وأخذ عنه المصريون طريقته فى

---

(١) الدكتور أحمد أمين : فجر الاسلام جـ ١ ص ٢٢٨

(٢) الفقيه الحضرمى المصرى الذى ولد حوالى عام ٩٧ هـ وولى قضاء مصر عشر سنين . ومات بها فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ١٧٤ هـ (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ١ ص ٣١٢) .

(٣) ولد بمصر فى قرقشندة بأسفل مصر (القليوبية) سنة ٩٤ هـ ، وتوفى سنة ١٧٥ هـ راجع مصر فى فجر الإسلام ص ٣١٧ للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف .

المناظرات الفقهية والكتابة العلمية، ولكنه تأثر بمصر وكون مذهبه الجديد فيها وقويت مدرسته بها .

ولد الشافعى فى رجب سنة ١٥٠ هـ بغزة، ولما بلغ من العمر تسع سنين كان قد أتم حفظ القرآن كله ثم جالس العلماء فى المسجد الحرام ليحفظ الحديث وعلوم القرآن وغيرها وعرف بقوة الذاكرة والذكاء المفرط والفهم السريع ؛ وبعد أعوام قصد المدينة حيث اتصل بالإمام مالك وقرأ عليه الموطأ فى أيام يسيرة وحفظه عن ظهر قلب . ثم رحل إلى الكوفة وساح فى بلاد فارس وما حولها من العواصم، وسافر إلى ديار ربيعة ومصر ومنها رحل إلى شمال العراق حتى وصل إلى جنوب بلاد الروم، وعرج على حران ثم سافر منها إلى فلسطين وأقام فى الرملة أياماً ثم قصد ثانية المدينة المنورة حيث قابل ثانية الإمام مالك .

ولم يمض على الشافعى زمن طويل بعد عودته إلى المدينة حتى جاءت الأخبار من مصر بوفاة الإمام الليث بن سعد فى نصف شعبان سنة ١٧٥ هـ. فحزن لوفاته مالك والشافعى، وأقام الشافعى بعد ذلك فى المدينة أربع سنوات وأشهراً إلى أن توفى الامام مالك (١٧٩ هـ) ودفن بالبقيع فى ظاهر المدينة . وكان عمر الشافعى عامئذ ٢٩ سنة تقريباً .

رحل إلى اليمن وتزوج وكان مثلا أعلى للحياة الزوجية الطاهرة . وهناك علت مكانته وارتفع قدره فى العلوم والمعارف، سواء كانت فقهية أو رياضية أو فلسفية أو طبية أو فلكية إلخ !

ثم وشى به لدى الخليفة هارون الرشيد الذى أرسل أحد قادته لاعتقال جماعة من العلويين ومن بينهم الشافعى ونقلوهم إلى بغداد ثم حملوه وهو مثقل بالحديد إلى حضرة الخليفة، وبعد حديث دينى دار بين الرجلين أمر هارون بمنحه ألفى دينار . فنهض الشافعى شاكراً ثم استأذن فى الانصراف فأذن له وخرج ووزع المال على المحتاجين الذين قابلهم فى الطريق .

وأقام الشافعى فى بغداد يجالس علماءها فاتسعت حلقة طلابه فأوغر بذلك صدور

بعض علماء العراق ، ولكن بالرغم من ذلك ازدادت مكانة الشافعى عند الخليفة ، وأصبح فى بغداد موضع إكرام أمرائها وعلمائها وساداتها ، وعلى رأسهم الإمام ابن حنبل ، وفى تلك الفترة أتم الشافعى تأليف كتابه الزعفران .

عاد الشافعى إلى مكة وأقام فيها سبع عشرة سنة يعلم الناس وينشر مذهبه إلى أن تاقت نفسه إلى بغداد فرجع اليها وأقام بها مدة قصيرة ، حتى رأى السفر إلى مصر مع العباس بن موسى والى مصر الجديد — فخرج أهل بغداد لوداعه ، وفى مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل ، فمسك الشافعى بيد ابن حنبل ساعة الوداع وقال :

لقد أصبحت نفسى تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر
والله لا أدرى ألعز والغنى أساق إليها أم أساق إلى القبر

وفى ٢٨ من شوال سنة ١٩٨ هـ دخل الشافعى مصر مع العباس بن موسى ونزل عند أهله من الأزد . ثم ابتدأ فى إلقاء دروسه بجامع عمرو بن العاص ، فنبغ عليه كثير من المصريين والمصريات ، ووضع الشافعى فى مصر كتبه الجديدة وكانت نحو عشرين كتاباً منها كتاب الأم ، والإملاء الصغير ، والأمالى الكبرى ، ومختصر الربيع ، ومختصر المازنى ، ومختصر البويطى ، وكتاب الرسالة ، وعلم أصول الفقه .

أما مذهب الشافعى فهو التوفيق بين النص والقياس ، وذلك إذا وجد سبيلا قوياً وإلا عول على ظاهر النص من الكتاب والسنة بغير ميل إلى التأويل مطلقاً . وأما رأيه فهو التمسك بالسنة الصحيحة تمسكا خالياً من الغرض والأهواء .

وأقام الشافعى فى مصر خمس سنين وتسعة أشهر يعلم الناس العلم ويؤلف كتبه الجديدة وينشر مذهبه بين الناس . وفى نهاية هذه المدة أصيب بمرض البواسير ولما اشتد عليه غالبه الموت فتوفى فى ليلة الجمعة الأخيرة من شهر رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) بعد العشاء الأخيرة [١] .

---

(١) رحلة الإمام الشافعى الى مصر — مصطفى منير أدهم عام ١٩٣٠

وكان مركز الحركة العلمية الدينية فى مصر وقلبها النابض فى ذلك العهد جامع عمرو بن العاص مثله فى هذا مثل الأزهر الشريف الآن . فكان جامع عمرو ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة ، و إليه يلجأ الناس للاستفتاء ، و إليه يفد الطلاب لتلقى العلوم التى كانت تدرس فى ذلك الحين ، ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء [1] .

ولقد كان لمصر سبق ملحوظ فى ميدان التصوف الإسلامى . فالمعروف أن أبا الفيض ثوبان بن ابراهيم المصرى المعروف بذى النون ، كان أوحد وقته علماً وورعا وأدبا وزهداً ، وهو من أقطاب الصوفية وله فضل كبير فى وضع كثير من التعاليم الصوفية ، و إليه ينسب القول بأن الوجد ، وليس العلم ، هو السبيل الوحيد لمعرفة الله المعرفة الحقيقية .

ولد ذو النون بأخميم حوالى عام ١٨٠ هـ (٧٤٦ م) . و يقال إن سعدون الصوفى المصرى كان معلمه ورائده الروحى . سافر إلى مكة ودمشق وزار بعض النساك . وقد تحدث ذو النون عن أسفاره للبحث عن سبل الخلاص قال : « لقد حصلت فى أول أسفارى علماً يرضى الخاصة والعامة . وحصلت فى ثانيها علماً يرضى الخاصة دون العامة . وفى ثالث أسفارى حصلت من العلم مالم ترض به لا الخاصة ولا العامة فغدوت شريدا طريدا . لقد حصلت من العلم فى المرة الأولى التوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء ، وفى المرة الثانية وصلت إلى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تفهمها العامة — وفى المرة الثالثة وصلت إلى الحقيقة التى تسمو على العلم والعقل فأعرضا عنها ولم يتفهماها » [2] .

وكانت المعرفة هى أهم موضوع فى تعاليم ذى النون ، كما أنه كان من أوائل الصوفيين الذين تعرضوا للكلام عنها . فقد قال بأن المعرفة بالله ثلاث ، أولاها هى

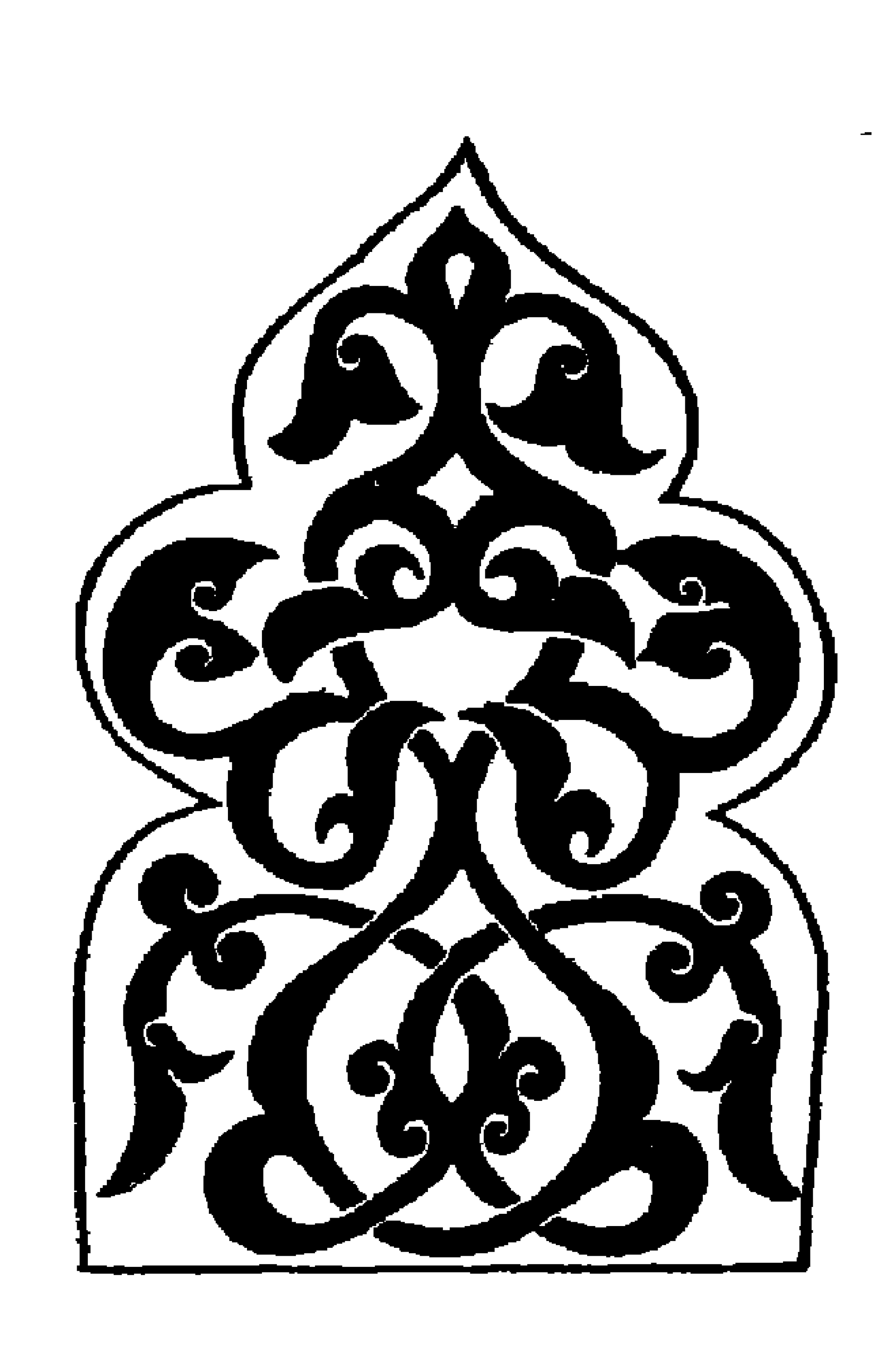
---

(١) راجع فصل الحركة العلمية فى كتاب الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف — ص ٣١٤ — ٣٣٦

(٢) مقال « ذو النون المصرى » بقلم الدكتور مارجريت سميث — مجلة الأدب والفن عدد ٣ عام ١٩٤٣ (السنة الأولى) ص ٥٤ — ٦٣

معرفة التوحيد التى هى ملك لـكل المؤمنين ، وثانيتها معرفة الحجة والبيـان وهى معرفة علماء الدين والفلاسفة ، وثالثهما معرفة صفات الوحدانية وهى معرفة أولياء الله الذين يتأملون الله بقلوبهم فيكشف لهم عما لا يكشفه لآخر .

وقد كان ذو النون مضطهداً من أجل تدريسه الصوفية علانية حتى لقد قبض عليه فى أواخر أيامه وأرسل إلى بغداد حيث سجن مع السماح لأصدقائه الصوفيين بزيارته إلى أن عفى عنه بأمر من الخليفة فعاد إلى مصر حيث وافاه الأجل المحتوم بمدينة الجيزة فى سنة ٢٤٥ ه (٨٥٩ م) .



وكان إنشاء القائد الفاطمى جوهر الصقلى — الجامع الأزهر — بأمر مولاه المعز لدين الله فى عام ٩٧٢م حادثاً له أهميته ، لا بالنسبة لمصر وحدها ، بل للعالم الإسلامى برمته ، وقد ظل الأزهر محل رعاية الفاطميين ومن خلفهم من السلاطين والأمراء، وعلى الأخص العزيز إذ جعل منه جامعة إسلامية للعالم الإسلامى كله ، لاسيما حينما اجتاح المغول بغداد فى عام ١٢٥٨ . ولم تنقطع وفود الطلاب ، بل ما زالت جموعهم تفد من مختلف بقاع العالم الإسلامى لتلقى العلم على أساتذة هذه الجامعة الإسلامية الكبرى . وتزخر هذه الجامعة الإسلامية بالطلاب من مصر والسودان وسوريا وفلسطين والمغرب والجزائر وشبه الجزيرة العربية . ثم من الهنود والصينيين وأهل جاوة وغيرها وغيرها — وكل هؤلاء ، حينما يستكملون دراستهم فى الأزهر ، يرتدون إلى بلدانهم وقراهم لإرشاد أهليهم وتعليمهم مطالب الدين الحنيف ونواهيه ، فضلا عما يدرسونه من العلوم الحديثة . [راجع كتاب القاهرة من المعز إلى الفاروق للمؤلف]

ونتيجة لهذا — كانت لشيخ الأزهر دواما مكانة عظيمة ... هذه المكانة الدينية الكبرى التى كانت تمكنه أحياناً من أن يضطلع بدور سياسى فى المسائل المصرية الداخلية والخارجية على السواء .

على أننا لو قلبنا البصر فى الجانب الفلسفى للاسلام — الجانب الذى يقول عنه مؤرخو الفرنجة وكتابهم إنه الجانب الغامض البعيد الغور — لوجدنا أن مصر قد نهضت بنصيب كبير يستأهل التقدير ، أو على الأقل يتفق وطبيعة البلد الذى يتبدى أن الفلسفة الروحية متوارثة فيه منذ القدم . ولعل المسلمين الأولين كانوا متأثرين بالصورة التى يعيش فيها أولئك الرهبان من المسيحيين فى صحراء مصر على جانبى وادى النيل ، ثم فى شبه جزيرة سيناء — وهى مسألة قد تلوح معقولة و إن كان من الصعب إثباتها وتأكيدها . على أنه من المتيسر — على الأقل — أن يقال إن الحركات الروحية بإنكار الذات والتى تجلت فى العالم الإسلامى فى خلال القرنين السابع والثامن إنما كانت نتيجة الاتصال بهؤلاء الرهبان .

وازدهرت الصوفية فى ذلك العهد . وفى طليعة شعرائها — العارف بالله عمر بن على بن مرشد ، الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة — ابن الفارض[1] (١١٨١ — ١٢٣٥) وقد مات فى الثالثة والخمسين من عمره وورى التراب فى سفح المقطم ، وظل شعره — ولا يزال — مروياً يتغنى به محدثو الصوفية ، بل وتوافر على دراسته طائفة من كبار المستشرقين أمثال فون هامر ، ودماتيو ، ونالينو ، ونيكلسون الذى ترجم الكثير من قصيد إلى الانجليزية ، وقصيدته التائية الكبرى تعبر عن صوفية ابن الفارض ومطلعها :

نعم بالصبا قلبى صبا لأحبتى فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
سرت فأسرت للفؤاد غدية أحاديث جيران العُذيب فسرت[2]

فيها زهاء سبعمائة وخمسين بيتاً ، وهى ليست من العيون الفريدة فى الأدب العربى فحسب ، ولكنها ذات شأن عظيم فى دراسة التصوف الإسلامى .

ويصور ابن الفارض فى قصيده ما يصوره شعراء الصوفية من حب الله وعشق الخالق فى خيالات قد يكون فيها توفيق — لا ما يقولونه من « تجلى » أو غيره من التعابير — ويكفى قصيده قيمة أنه يكشف لنا الكثير من غوامض معتقدات الصوفية فى ذلك العصر .

وممن كان لهم شأن عظيم من شعراء مصر محمد بن سعيد البوصيرى المتوفى نحو عام ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م) . وبالرغم من استناد شهرة هذا الشاعر إلى قصيدة واحدة فانه قد بذ جل أقرانه[3] . فما لا نزاع فيه أن قصيدته بردة المديح المباركة

---

(١) راجع ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان · جـ ١ ص ٤٨٣ . وفى شذرات الذهب جـ ٢ ص ٧٤١

(٢) ديوان ابن الفارض — مطبعة حجازى بالقاهرة . ص ١٦ — ٢٣

(٣) كان من تلاميذ أبى العباس المرسى فى التصوف . راجت قصائده رواجا كبيراً بين الشعب وخاصة البردة والهمزية لأنهما تتفقان ومشاعر الجمهور وميله إلى الابتهال وتجاوبان مطالب نفسه .

(١٥٩ بيتاً) هى أصلح أنموذج للقصيد الدينى — الأمر الذى جعلها مادة للترجمة لعدة لغات ؛ ووضعت على هامشها طائفة من التعليقات . ولعل الأبيات التالية التى تأتى فى مطلعها تنم عن الروح الدينية المنبثة فى النفوس . وما زالت أبياتها تنشد فى الجنازات وتكتب فى التعاويذ حتى اليوم :

أمن تذكر جيران بذى سلم	مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة	وأومض البرق فى الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا	وما لقلبك إن قلت استفق يهم
أيحسب الصب أن الحب منكتم	ما بين منسجم منه ومضطرم
لولا الهوى لم ترق دمعاً على طلل	ولا أرقت لذكر البان والعلم
فكيف تنكر حباً بعد ما شهدت	به عليك عدول الدمع والسقم

* * *

وقضى عطاءالله الشاذلى مؤسس الطريقة الشاذلية الذى ولد فى مراكش غالبية حياته فى مصر حيث أدركته المنية فى عام ١٢٥٨ م . وفى طليعة شعراء الصوفية المصريين أيضاً « ابن وفا [١] » الذى استهل حياته فى القاهرة (عام ١٣٥٧ م) . كما يتسنى أن نذكر فى هذا السياق أيضاً مؤلفاً صوفياً هو الشعرانى أو الشعراوى الذى ولد فى قلقشندة — قرية جده لأمه ، ثم انتقل بعد أربعين يوماً إلى قرية أبيه ساقية أبى شعرة من أعمال المنوفية وإليها انتسب [٢]. ومما ينبغى ذكره أن مؤلفاته تربو على الخمسين ، بعضها فى تاريخ حياة بعض كبار الصوفية .

---

(١) هو العلامة العارف بالله محمد بن أحمد بن محمد بن النجم محمد فتح الدين أبو الفتح الاسكندرى الأصل القاهرى المولد المالكى الشاذلى . ولد تقريباً فى سنة ٧٩٠ هـ بالقاهرة ومات بالروضة ٨٥٢ هـ — الضوء اللامع جـ ٤ ص ٢٣٧ — ٢٣٨

(٢) هو الإمام العلامة عبد الوهاب بن أحمد بن على الأنصارى — دخل القاهرة سنة ٩٥١ وتوفى بها سنة ٩٧٣ ودفن بزاويته المعروفة بين السورين — راجع كتاب الشعرانى للدكتور توفيق الطويل ، وشذرات الذهب جـ ٤ ص ٨٠٩ — وطبقات الشافعية للشرقاوى — ومعلمة الاسلام جـ ٣ ص ٣٢٠

وقد بلغ الصوفية أوج عزهم فى مصر أيام صلاح الدين الأيوبى وخلفائه ، كما يشهد بذلك العدد الوفير من البيوت التى شيدت لهم والتى تعرف باسم الخوانك . وعلى رأسها الخانكاه الصلاحية التى فتحها صلاح الدين للفقراء الصوفية الذين جاءوا من مختلف البلاد ، ورتب الأوقاف للانفاق عليهم (خطط المقريزى ج ٢ ص ٤١٥ وما بعـدها) .

وفضلا عن هذا ، فقد لاح فى سماء الشهرة نفر من كبار كتاب الرسائل ونفر غير قليل من الشعراء الذين ما فتأ الناس يعجبون بدواوينهم . نذكر من بينهم البهاء زهير المتوفى فى عام ١٢٥٨ والذى نشرت مجموعة من قصائده مع ترجمة انجليزية لها بقلم هـ . بالمر المستشرق الـكبير فى سنة ١٨٧٦[(١)] .

ونذكر من شعراء مصر سراج الدين الوراق (١٢١٨ — ١٢٩٦) وهو شاعر مكثر ملأ شعره كثيراً من الـكتب التى تعرض للنماذج الشعرية — عمل فى الديوان المصرى . وعبد الغنى النابلسى (١٦٤١ — ١٧٣١) وهو شاعر صوفى على الطريقة النقشبندية والقادرية . وقد شرح ديوان ابن الفارض وأعاد لنا فى شعره نغمة من نغمات ابن الفارض وابن العربى تشعر بوحدة الوجود .

واشتهر فى العصر العثمانى من المصريين ، عائشة الباعونية التى اشتهرت بمدائح الرسول . وعبد الله الشبراوى وهو من أكابر شيوخ الأزهر أغرم بالشعر وقال عدة قصائد فى المدائح النبوية[(٢)] .

وانتعش الشعر فى العصر الحديث بالرغم من أن الشعر السياسى قد طفق يطغى على ضروب الشعر الأخرى . واسم البارودى الشاعر الكبير الذى لمع

---

(١) هو الوزير الصاحب الشاعر زهير بن المهلبى الملقب ببهاء الدين المولود بوادى نخلة قرب مكة المكرمة سنة ٥٨١ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ٦٥٦ هـ ودفن بالقرافة الصغرى بالقرب من قبة الإمام الشافعى — راجع ترجمته فى وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٤٢ — ٢٤٥ — وفى عيون التاريخ لابن شاكر ج ٢٠ ص ١٤٣ — ١٥١ ، وفى المنهل الصافى ج ٣ ص ٢٠٣ — ٢٠٨

(٢) الدكتور أحمد أمين بك والدكتور زكى نجيب محمود : قصة الأدب فى العالم ص ٤٧١ .

نجمه فى أخريات القرن التاسع عشر ومات فى عام ١٩٠٥ ، وتمتاز قصائده بالروح الحماسية الدافقة . وإن كان بعض المستشرقين قد وقفوا طويلاً قبالة قصيدته فى رثاء زوجته للروح العاطفية الحساسة التى اتسمت بها .

وأقبل شاعر النيل حافظ إبراهيم الذى توفى فى عام ١٩٣٢ وكان لسان الحركة الوطنية وسيفها — كان جندياً فى الجيش وغادر صفوفه إلى ميدان الشعر السياسى . وقد وضعت دراسات أدبية شتى فى المقارنة بينه وبين معاصره شوقى بك أمير الشعراء . واستقر هذا فى مرقده الأخير فى عام ١٩٣٢ إثر حافظ . وقد كان يتوق إلى أن يعقبه ! أليس هو القائل :

قد كنت أوثر أن تقول رثائى　　　يا منصف الموتى من الأحياء ؟

وشوقى ولا ريب ، من العبقريات الفذة الأصيلة فى الأدب العربى ؛ وإذا كان لشوقى ما يفخر به على غيره من شعراء العربية — فهو استخدامه القصيد فى التأليف المسرحى للدراما . والدراما غير ناضجة فى الأدب العربى القديم وإن عرفت التمثيلية الحوارية فى الأدب العربى منذ القرون الوسطى — بيد أن الشاعر شوقى قد انتفع بحياة قيس وليلى وعنترة العبسى وقمبيز وأنطونيو وكليوباترة ، ثم حياة الأمير على بك الكبير ، وصاغ حول كل منها مأساة شعرية تصور تاريخ العصر كله والأفراد الذين عاشوا بين جوانحه .

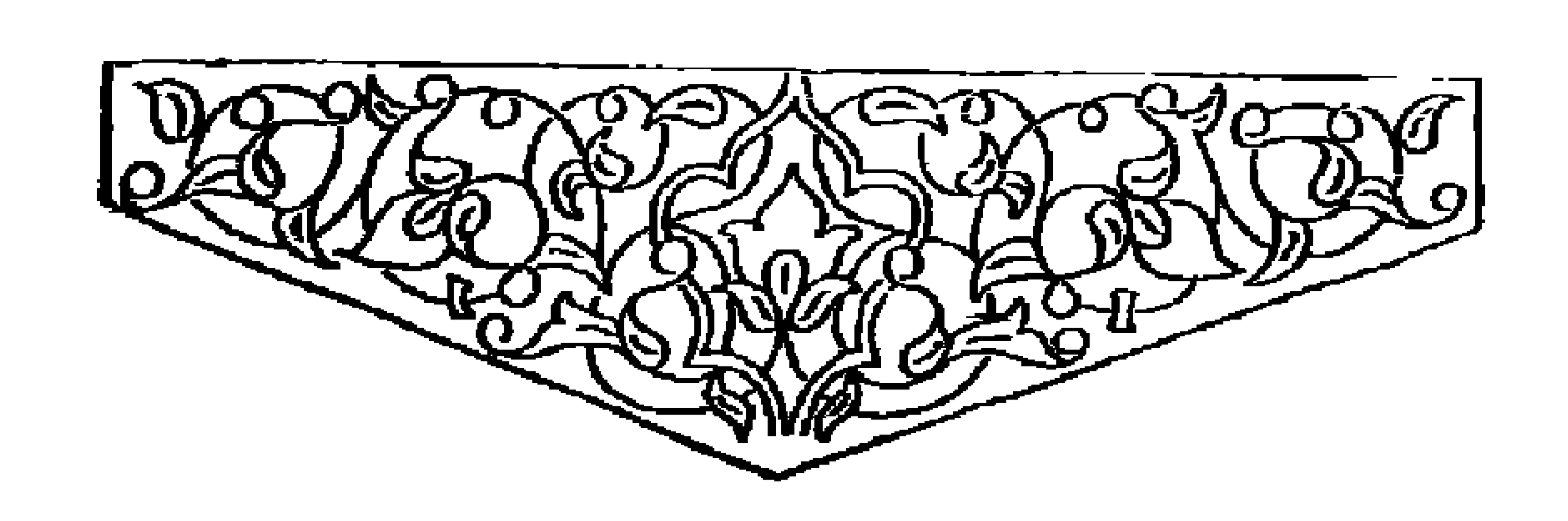
وأصبحت مصر فى العصر الحديث المركز الثقافى فى العالم الإسلامى ونبغ من رجالها الشيخ محمد عبده الذى يعد من أعظم الفقهاء المسلمين نفوذاً فى العصور الأخيرة . وإليه يرجع الفضل فى إزالة العوائق التى كانت تشل حركة الإسلام وتمنعه من التجديد على أساس تحكيم العقل . وكان للشيخ محمد عبده الفضل فى إدخال العلوم الحديثة فى الأزهر ، وفى تفسير الإسلام تفسيراً جديداً لا يقطع صلته بماضيه ولا يقعده عن مسايرة النهضات الحديثة [1].

---

(١) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية . ص ٣ .

ولا نغفل أن نأتى على ما كان لعدد كبير من الكتاب المصريين من أثر فى تقدم اللغة . ومن الطفرة بها إلى هذا الأسلوب المعاصر الحديث فى الكتابة والتحرير .. ومن بين هؤلاء المنفلوطى والعقاد والمازنى وهيكل وطه حسين وأحمد أمين وفكرى أباظه والزيات والرافعى [1] . وغيرهم من أدباء المدرسة الحديثة

وينبغى علينا أن نشير إلى إنشاء المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول للمجمع اللغوى ، وما عبأ له من جهود علماء أوربا والشرق بغية تنقية لغة الكتابة من الأدران التى علقت بها والسمو بلغة جديدة طيبة للمستقبل .



(١) ولد عباس محمود العقاد فى أسوان عام ١٨٨٩ ، وأهم أعماله مجمع الأحياء والشذور ، وديوانه والديوان ، والفصول والمطالعات ، ومراجعات فى الأدب والفنون ، وساعات بين الكتب ، وأعاصير مغرب وعبقرية خالد وعبقرية محمد والله ...

ولد المازنى فى القاهرة عام ١٨٩٠ (ت ١٩٤٩) وأهم أعماله الشعر وغايته ووسائطه وشعر حافظ إبراهيم وديوان المازنى ، وحصاد الهشيم — وقبض الريح وصندوق الدنيا الخ .

وولد هيكل باشا فى أغسطس ١٨٨٨ وأهم أعماله زينب ، جان جاك روسو ، فى أوقات الفراغ ، عشرة أيام فى السودان ، تراجم مصرية وغربية . حياة محمد ، الصديق أبو بكر ، الفاروق عمر ، ومذكراته السياسية .

ومصطفى لطفى المنفلوطى (١٨٧٦ — ١٩٢٤) وأشهر مؤلفاته ومترجماته النظرات ، والعبرات ومختارات المنفلوطى ، وتحت ظلال الزيزفون ، والفضيلة ، وسيرانودى برجراك

وقد ولد طه حسين باشا فى عام ١٨٨٩ وأهم أعماله : ذكرى أبى العلاء ، دراسة تحليلية ونقدية فى الفلسفة الاجتماعية لابن خلدون ، صحف مختارة من الشعر التمثيلى عند اليونان ، ترجمة كتاب نظام الأثينيين ، حديث الأربعاء ، قصص تمثيلية ، قادة الفكر ، فى الشعر الجاهلى فى الأدب الجاهلى ، مستقبل الثقافة فى مصر ، الوعد الحق ، المعذبون فى الأرض

والدكتور أحمد أمين بك ولد فى حوالى عام ١٨٨٦ ومن أعماله فجر الإسلام — ضحى الاسلام

وفكرى أباظة باشا الذى ضرب بسهم وافر فى أدب المقالة الصحفية

والزيات صاحب الرسالة وتاريخ الأدب العربى وغيرهما وهو عضو فى المجمع اللغوى

وعبد العزيز جاويش والرافعى

ولنعرج الآن على ما قدمته مصر فى خدمة اللغة العربية — لنجد ابن الحاجب العالم اللغوى الشهير[1] والمتوفى عام ١٢٤٨ م . وكان مؤلفه « الكافى » فى قواعد اللغة العربية مرجع أجيال متعاقبة من الطلاب والمتعلمين فى المدارس الإسلامية بل وتناول العلماء كتابه بالشرح والإيضاح والتعليق عليه .

وكان ابن هشام[2] أيضاً (١٣٠٨ — ١٣٦٠) — بالرغم من أنه كان فى وقت ما أستاذ دراسات القرآن فى القاهرة — من علماء اللغة ، واشتهر فى هذا اللون من التأليف ؛ كما اشتهر فيه مثله بدر الدين الدمامينى (١٣٦٢ — ١٤٢٤) وهو من مواليد الاسكندرية[3] ؛ وظهر من كتاب النثر العالم الزبيدى (توفى فى عام ١٧٩١) صاحب قاموس تاج العروس ، وقد طلب العلم فى مصر حيث قضى الشطر الأكبر من حياته .

ونلقى جلال الدين السيوطى — وهو من أعظم رجالات المسلمين الذين ألفوا المعلمات (دوائر المعارف) — من أهالى أسيوط . وقد تولى عدة وظائف عامة فى القاهرة ، ثم ركن إلى جزيرة الروضة متقاعداً عن العمل حينما أعفى من الوظائف التى كان يتولاها . وعاش السيوطى ستين سنة بين عامى ١٤٤٥ — ١٥٠٥م . ومن الصعب أن نجد علماً من علوم المسلمين لم يجر فيه قلم السيوطى بالتأليف والتحرير والتصحيح والإيضاح . وقد ذكر « بروكيلمان » المستشرق الألمانى ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مؤلفاً

---

(١) هو العلامة عثمان بن عمر بن أبى بكر الكردى المالكى النحوى الفقيه المعروف بابن الحاجب المولود بعد سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٥ م) بإسنا والمتوفى بالاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ راجع ترجمته فى المنهل الصافى جـ ٤ ص ٤٤ — ٤٧

(٢) هو العلامة عبد الله بن يوسف بن هشام جمال الدين النحوى الحنبلى المولود سنة ٧٠٨ هـ والمتوفى سنة ٧٦١ هـ . راجع ترجمته فى المنهل الصافى جـ ٣ ص ٥٥١

(٣) هو العلامة المحقق محمد بن أبى بكر القرشى الاسكندرى المالكى بدر الدين الدمامينى المولود بالاسكندرية سنة ٧٦٣ هـ والمتوفى بالهند سنة ٨٢٧ (أو ٨٢٨) راجع ترجمته فى الضوء اللامع جـ ٤ ص ٤٣٩

للسيوطى . وقد يكون هذا الثبت الذى أتى عليه بروكيلمان يفتقر إلى الدقة . بيد أن الشىء الذى لامرية فيه هو أنه لايوجد مؤلف آخر فى العربية له ما للسيوطى من مؤلفات وأبحاث [1] .

على أننا فى عجالة موجزة كهذه لا يتسنى لنا أن نقف إزاء كل من تصدر من المصريين فى علوم اللغة والشعر أو الطب والكيمياء أو الهندسة والفلك ، لنتحدث عن تاريخ حياته ومؤلفاته . فلهذه الميادين مراجعها المستفيضة ؛ ولكن من الضرورة بمكان أيضاً ألا ندع هذا العرض دون أن نذكر فى إلمامة سريعة ألمع الأسماء ؛ ولعله يتيسر منها أن ندرك صورة صحيحة للحياة الفكرية والعلمية فى مصر .

ها هو ذا العالم العلامة محمد بن موسى بن كمال الدين الدميرى الأصل القاهرى [2] الشافعى — المولود حوالى سنة ٧٤٢ هـ — ١٣٤٤ م بالقاهرة (توفى سنة ٨٠٨ ١٤٠٥ م) مؤلف الموسوعة العربية الكبرى فى علم الحيوان (حياة الحيوان الكبرى)

والجلداكى — مثله مثل الدميرى — قاهرى اشتهر بدراساته فى علم الكيمياء . وقد توفى قبل مولد الدميرى بعامين أى فى عام ١٣٤٢ م .

والطبيب ابن رضوان (توفى عام ١٠٦٨) . والمنذرى (ت ١٢٥٨) .

والمناوى (ت ١٦٢٢) والنواجى (ت ١٤٥٥) صاحب مؤلف فى التحاليل الطبية [3] — وابن سيد الناس (ت ١٣٥٤) واشتهر بسفره فى حياة النبى والجندى (ت ١٣٦٥) وتاج الدين السبكى (ت ١٣٥٥) الذى عاصر اثنى عشر من السلاطين المماليك . وهو مصلح مصرى لمس نواحى الضعف فى الحكومة وفى طبقات الأمة

---

(١) نذكر فى ميدان اللغة طاهر بن بابشاذ الذى تولى ديوان الانشاء فى العصر الفاطمى، وكان إمام عصره فى النحو وكذلك بن برى وابن مالك الطائى، وكان ابن منظور صاحب «لسان العرب» من رجال ديوان الانشاء بمصر فى عصر المماليك .

(٢) راجع ترجمة حياته فى الضوء اللامع جـ ٦ ص ١٧

(٣) هو العلامة محمد بن حسن بن شمس الدين النواجى نسبة لنواج بالغربية المولود بالقاهرة بعد سنة ٧٨٥ تقريباً والتوفى سنة ٨٥٩ هـ — راجع ترجمته فى الضوء اللامع جـ ٤ ص ٥٣٢ — ٥٣٨

لذلك العهد فتصدى لنقدها بصراحة وجرأة تدعوان إلى الاعجاب، ثم وصف وسائل الإصلاح وهى تدور حول قيام كل بواجبه فى دائرة عمله [1].

و برز من رجال الشريعة على المذهب الحنفى ابن نجيم المصرى [2] وتوفى عام ١٥٦٣ والدمرطاشى (ت ١٥٩٥) — ومن الشافعية البلقينى (ت ١٤٠٣) [3] وزكريا الأنصارى (ت ١٥٢٠) [4] قاضى القضاة الملقب بشيخ الإسلام المولود بسنيكة من الشرقية، ثم الخفاجى (ت ١٦٥٩) الذى اشتهر فوق درايته بالشريعة بعلوم اللغة والشعر [5].

وقد لعبت مصر دوراً هاماً فى تاريخ ناحية من الأدب العربى من المتعذر أن يفكر فيها أديب عربى. وينوه بها كتاب الغرب فى مقدمة مؤلفاتهم فى الأدب العربى. هذه الناحية هى الأدب القصصى الخيالى. وأظهر ما كتب فيه هو كتاب « ألف ليلة وليلة » ، كما توجد مجموعة طيبة أخرى من هذا القصص الروائى لها قيمتها التأليفية. وعلة تقديم كتاب ألف ليلة وليلة عليها هى أن المستشرقين فى بلاد الغرب لم يعنوا إلا بترجمة ألف ليلة فقد كان فى وسعهم بسبب احتوائه على مجموعة من القصص أن يترجموا أجزاء منها تعتبر فى حد ذاتها كتابا كاملا — وأشهر هذه القصص :

عنترة العبسى — أبو زيد الهلالى — الظاهر بيبرس — وغيرها.

وكان فن القصص فى فترة ما، من أهم مظاهر الحياة الاجتماعية فى مصر. كما يبدو أن الراوية أو القصاص الذى يسامر الناس فى المقاهى قاصاً عليهم تاريخ حياة عنترة أو أبى زيد لم يعد له وجود فى المدن الكبرى. بيد أن الشيء الذى لا مراء فيه أنه كان لهذا أثره فى خلق جو من كتاب القصة المصرية الصميمة تتبدى بوادرها فى صورة طيبة الآن. نذكر منهم محمود تيمور والسحار وباكثير والسباعى والعريان.

---

(١) ولد السبكى حوالى ٧٢٧ هـ ١٣٢٦) بالقاهرة — راجع كتاب البيت السبكى للاستاذ محمد الصادق حسين (١٩٤٨)

(٢) راجع ترجمة حياته فى شذرات الذهب جـ ٤ ص ٥٩٤

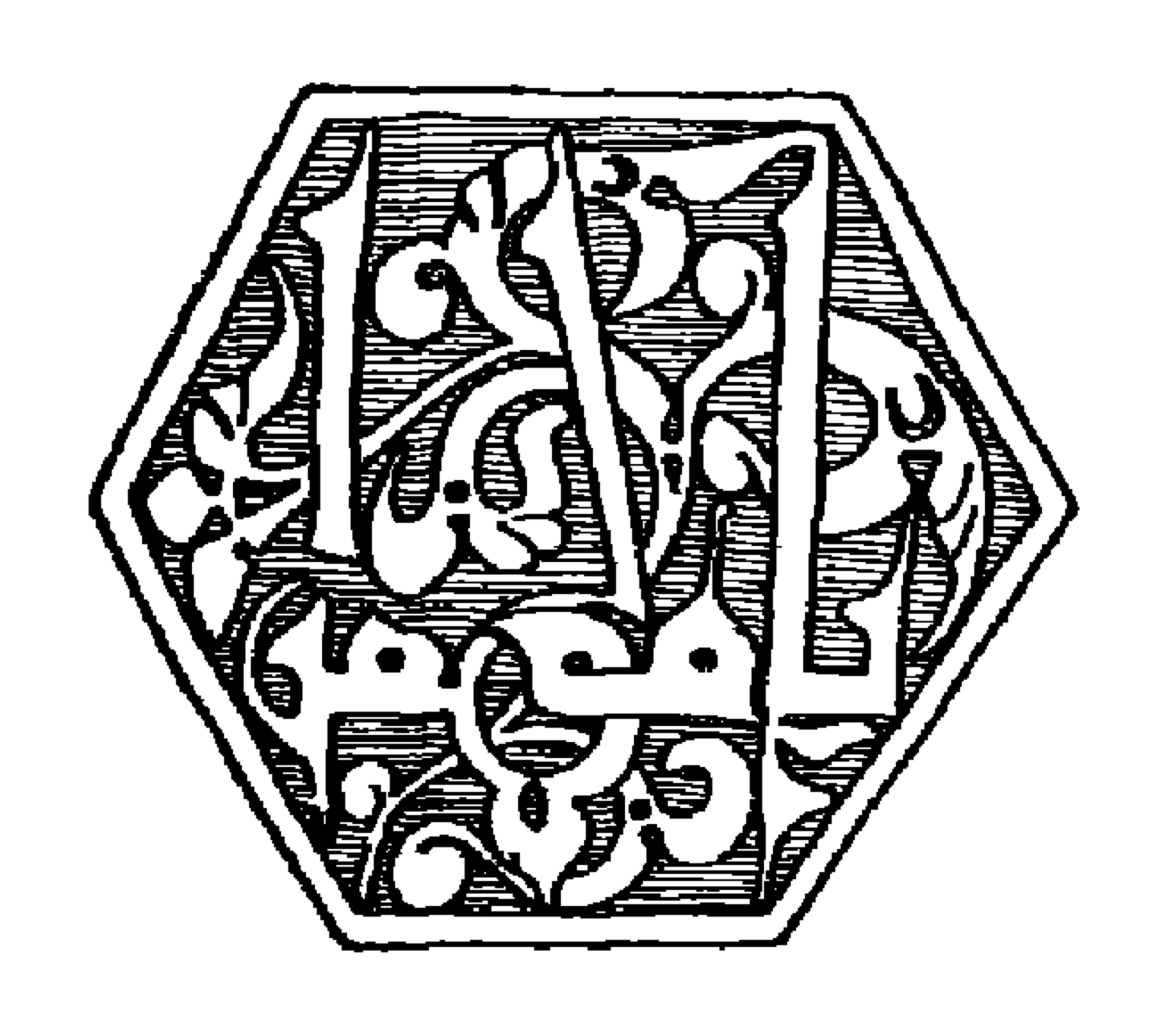
(٣) راجع ترجمة حياته فى الضوء اللامع جـ ٣ ص ٨٠٣

(٤) راجع ترجمة حياته فى الضوء اللامع جـ ٢ ص ٤٣٥

(٥) شهاب الدين الخفاجى — راجع ترجمته فى خلاصة الأثر جـ ١ ص ٣٣١ — ٣٤٣

(٦) مصرى من نويرة (١٢٨٢ — ١٣٣٢) هو أبو العباس شهاب الدين أحمد

قلنا إن مصر والشام كانتا مهد المعلمات والجاميع الإسلامية . فإن معظم الذين ألفوا الكتب الجامعة للموضوعات المختلفة ، كانوا من المصريين أو كانوا من الشاميين فى عصر اتحاد البلدين . فالنويرى صاحب «نهاية الأرب فى فنون الأدب» كان من رجال السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون[1] وابن فضل الله العمرى صاحب « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » تولى القضاء بمصر فى عصر المماليك (١٣٠١ — ١٣٤٨ م) وقد كان معاصراً للنويرى وكتابه فى التراجم والتاريخ والجغرافيا مملوء بالفوائد القيمة والمعلومات الواسعة إلى أناقة فى التعبير وجمال فى الأداء يفوق النويرى . وهو يقع فى أكثر من عشرين جزءاً لم تخرج منه المطبعة سوى الجزء الأول . ثم أبو العباس أحمد القلقشندى صاحب « صبح الأعشى» كان أيضاً من الموظفين المصريين فى ذلك العصر (ت ١٤١٨) . وجلال الدين السيوطى تولى الإفتاء بمصر وتوفى فى بداية القرن العاشر الهجرى (١٦ م) بعد أن ألف الكتب والرسائل العديدة فى التفسير والتاريخ والحديث والفقه وعلوم اللغة ... إلخ . ولا ننسى أن بطرس البستانى اللبنانى الأصل قام فى القرن التاسع عشر بكتابة دائرة المعارف المنسوبة إليه . وكانت رعاية هذا المشروع للخديو إسماعيل الذى يرجع إليه الفضل فى تشجيع البستانى من الناحيتين المادية والأدبية[1] .



---

(١) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الإسلامية . ص ٣٣

العلوم

ولم يخل ميدان العلم البحت من مساهمة العلماء المصريين الذين نبغوا فى الطب والفلك والكيمياء وعلم البحار والرياضيات — إلخ . ونذكر من هؤلاء أبا كامل شجاع ابن أسلم وعلى بن رضوان وعلى بن يونس وابن الهيثم وعلى بن النفيس ، وغيرهم .

أما شجاع بن أسلم فقد ذاع صيته فى علم الجبر فى بداية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وكتب فيه فزاد على ما خلفه الخوارزمى فى كتابه الجبر والمقابلة .

وابن يونس الذى اشتهر بالرياضيات والفلك فى العصر الفاطمى واخترع الرقاص أو بندول الساعة الدقيقة . وكان لأرصاده الفلكية وبحوثه العلمية أثر هام فى علم الفلك . أما أبو الحسن على بن رضوان بن على بن جعفر طبيب القاهرة المشهور فقد ولد فى الجيزة حوالى عام ٩٨٠ م وتوفى حوالى ١٠٦١ م (١) . وكان أبوه فرانا ولاقى فى تعلمه أهوالا حتى برع فى الطب ، وله مخطوطان فى الطب بدار الكتب المصرية أحدهما بعنوان « فى دفع مضار الأبدان بأرض مصر » . وقد زاول صناعة الطب فى القرن الحادى عشر كرئيس للأطباء فى عصر الحاكم بأمر الله (٩٩٦ — ١٠٢٠ م) والظاهر والمستنصر . ولابن رضوان ما يقرب من التسعين بحثاً فى الطب أهمها كتاب الأصول فى الطب ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية (٢) . وعلم ابن رضوان نفسه ولم يتلق الطب عن أستاذ ، ولذلك نجده يفخر دواما بذلك . وقد تبادل المساجلات والمناقشات الطبية مع ابن بطلان الطبيب النصرانى البغدادى (٣) .

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة — طبعة موللر . القاهرة ١٨٨٢ ج ٢ ص ٩٩

(٢) Max : Meyerhof · Climate and Healthin Old Cairo, according to Ali Ibn Ridwan. Desember 1928. بحث القاه فى المؤتمر الطبى الدولى

(٣) لما طالت المناظرات الطبية سافر ابن بطلان من بغداد إلى مصر ليرى مناظره . وأقام بها ثلاث سنوات . واستمرت بينهما المناظرات · ويقول ابن أبى أصيبعة فى المقارنة بينهما : كان ابن بطلان أعذب لفظاً وأكثر ظرفاً وأميز فى الأدب وما يتعلق به . وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكمية وما يتعلق بها .

وممن ازدهر ميدان الطب بهم فى مصر على بن النفيس الذى كان رئيس الأطباء فى مارستان قلاوون بالقاهرة والمتوفى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) . وقد كان إلى جانب اشتغاله بالطب من البارزين فى العلوم الدينية واللغوية والأدبية فى عصره . وكتب ابن النفيس شرحاً لتشريح ابن سينا ، وصلت إلينا نسخة مخطوطة منه ، وقد وضح من دراستها أن هذا الطبيب المصرى اهتدى إلى حقيقة الدورة الدموية الصغرى « دورة الدم من البطين الأيمن فى القلب إلى الرئتين ثم إلى البطين الأيسر » قبل أن يكشفها الأوربيان ميشيل سرفت (Michel Serfet) سنة ١٥٥٦ وريالدو كولومبو[١] .

ومن المسلم به عند المشتغلين بالطب وتاريخه أن أمراض العين كانت تعالج فى مصر والشام فى القرنين السادس والسابع بعد الهجرة (١٢ و ١٣ م) بأسلوب على يفوق كل ما كان معروفاً حينئذ فى سائر بلاد العالم .

ومن خير من أنجبهم عصر المماليك أحمد بن ماجد الذى وضع الرسائل والكتب فى علم البحار وتسيير السفن ، وكان لمؤلفاته وخبرته فضل كبير على الملاحة البرتغالية فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر (م) هذا ولا ننسى أن سكان مصر ولا سيما القبط ، كان لهم الفضل فى بناء السفن وتشييد دور الصنعة فى وادى النيل وفى تونس والشام[٢] .

أما أبو على ابن الهيثم[٣] فكان أكبر علماء المسلمين فى الطبيعة بل أعظم علمائها فى العصور الوسطى ولولاه لما أتيح لعلم البصريات أن يصل إلى ما هو عليه الآن . وقد ترجم كتابه إلى اللاتينية سنة ١٥٧٢ وأخذ عنه علماء أوربا جميع معلوماتهم

(١) ماكس مايرهوف : مقالة عن ابن النفيس فى دائرة المعارف الإسلامية

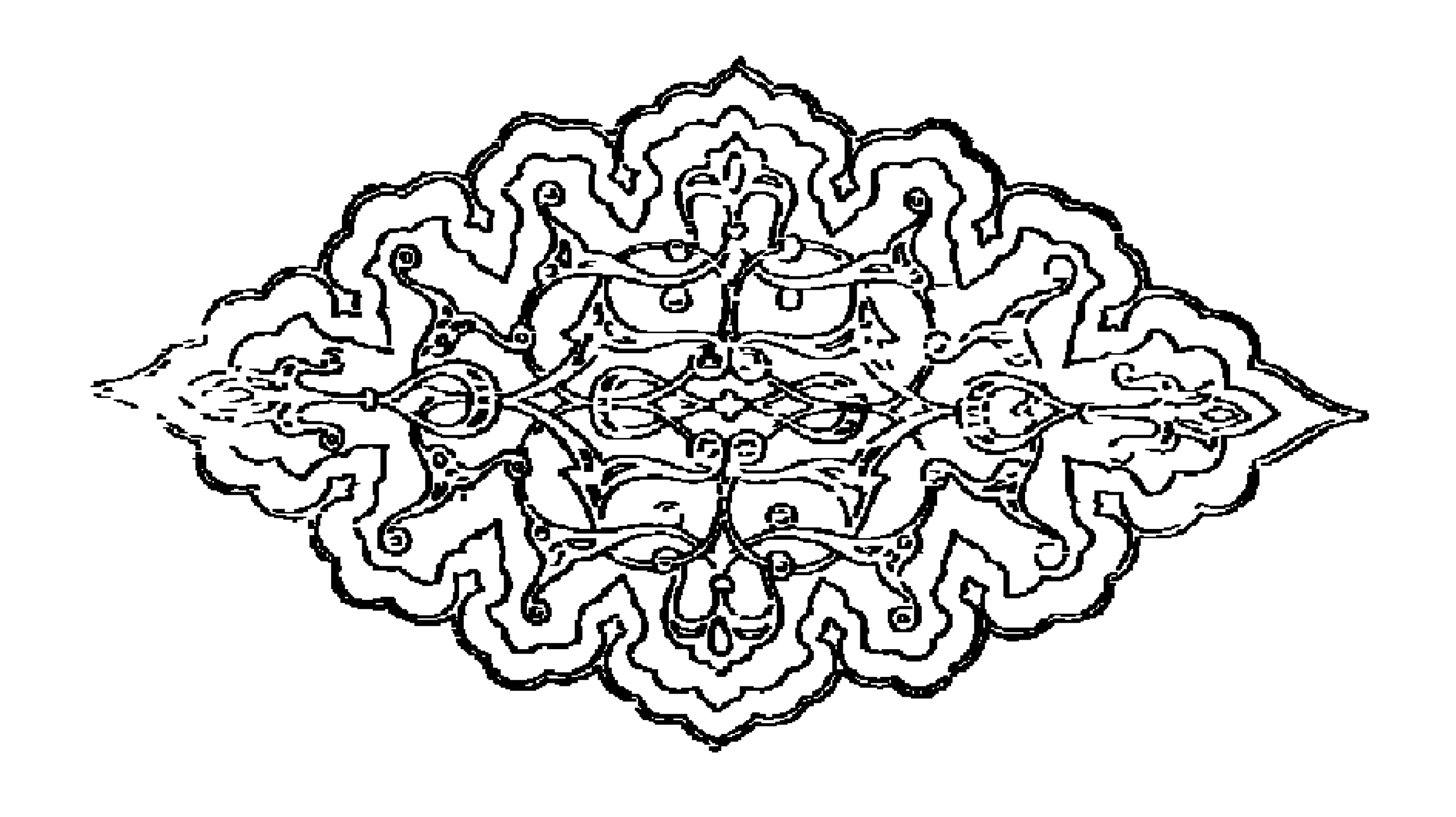
(٢) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية ص ٣٦

(٣) عاش فى القاهرة (القرن الخامس الهجرى — الحادى عشر الميلادى) ولد فى البصرة واشتغل كثيراً بمؤلفات أرسطو وجالينوس . وأكبر كتب ابن الهيثم كتاب المناظر الذى ترجم وهذب باللغة اللاتينية — ولا يعرف من تلاميذه غير واحد يعد من الفلاسفة هو أبو الوفا مبشر ابن فاتك القائد وهو أحد أمراء مصر

ولا سيما فى موضوعات انكسار الضوء وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكية العين[1] .

وقد كاد الشرق أن ينسى ابن الهيثم بعد أن وسمه وكتبه بالزندقة . ويخبرنا أحد تلاميذ الفيلسوف الإسرائيلى ابن ميمون، وهو الحكيم يوسف السبتى ، أنه كان ببغداد تاجر اسمه عبد السلام الجيلى . شهد إحراق كتب أحد الفلاسفة ، وقد أحضرها له خطيب ونصب له منبر ليشرف على إحراقها . فلما وصل إلى كتاب الهيئة لابن الهيثم أشار إلى الدائرة التى مثل بها الفلك ووصفها بأنها الداهية الدهياء ، والنازلة الصماء ، والمصيبة العمياء ، و بعد أن أتم كلامه خرقها وألقاها إلى النار[2] .

وكتب الفروسية والبيطرة نادرة فى اللغة العربية . ولكن من أعظم كتب البيطرة كتاب قدمه إلى الناصر محمد بن قلاوون طبيب كان له الإشراف على اسطبله وخيوله . هذا وكتاب الفروسية لبدر الدين بكتوت الرماح الخازندارى نائب الإسكندرية (٧٧١ هـ) ما زال مخطوطاً محفوظاً بمكتبة المتحف البريطانى بلندن . وكذلك بغية القاصدين فى العمل بالميادين الذى ألفه محمد بن لاجين الحسامى الرماح للأمير سيف الدين الماردينى صاحب حلب وموجود اليوم بمكتبة ليدن .



(١) مقال الأستاذ قدرى حافظ طوقان فى كتاب « نواح مجيدة من الثقافة الاسلامية » أخرجته مجلة المقتطف بالقاهرة .

(٢) تاريخ الفلسفة فى الإسلام تأليف دى بور وترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ص ١٩٤-١٩٥

الحرب

ولقد ساهمت مصر فى ميدان تأليف الكتب الحربية بنصيب فخم ولا سيا على أيام الأيوبيين ودولتى المماليك . فقد جاهد سلاطين هذه الأسر المجيدة فى إعلاء مجد الإسلام وصد جيوش الفرنجة والمغول مئات السنين . فلا غرو أن تنتشر المؤلفات الحربية فى شتى بحوثها . فألفوا فى تعبئة الجيوش وسوقها و إدارتها وتموينها وتسليحها وتحركاتها الليلية الكتب الكثيرة — نذكر منها كتاب تحفة المجاهدين فى العمل بالميادين للأمير لاجين بن عبد الله الذهبى الحسامى (٧٣٨ هـ — ١٣٣٧م) ؛ وكتاب « كشف الكروب فى معرفة الحروب » ألفه عماد الدين موسى بن محمد اليوسفى المصرى أحد مقدمى الحلقة المنصورة . كتبه بإشارة السلطان الملك الظاهر جقمق فى عام (٧٥٩هـ—١٣٥٨م) ؛ وكتاب «الأحكام الملوكية والضوابط الناموسية» لواضعه محمد بن منكلى نقيب الجيش فى زمن الأشرف شعبان سلطان مصر(١٣٦٣—١٣٧٦) وهو يبحث فى فن القتال ، وقسمه مؤلفه إلى ١٢٢ باباً اشتملت على السفن الحربية وآلاتها وحركاتها والرمى بالمدافع . وكتاب « الأنيق فى المجانيق » لأرنبغا الزردكاش ألفه عام (٨٦٧هـ—١٤٦٣م) وصف به أنواع المجانيق وكيفية استخدامها . وأوضح كلامه بالصور والرسوم . وكتاب « السؤل والأمنية فى تعليم الفروسية » كتب فى عام ٨٠١ هـ ويشتمل على رسوم ملونة . وكتاب نجم الدين حسن الرماح الأحدب الذى قدمنا عنوانه وموجودة نسخة منه فى دار الكتب الأهلية بباريز . وكتاب تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونشر أعلام الأعلام فى العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء الذى ألفه مرضى بن على بن مرضى الطرسوسى بناء على أمر السلطان صلاح الدين الأيوبى .

التاريخ

بقى شىء واحد يتعين أن يشار وربما كان هو أهم ما ساهمت به مصر فى روضة الأدب الإسلامى ألا وهو التاريخ . ولا منازع فى أن المرجع الوحيد الذى يستند إليه فى معرفة تاريخ مصر الإسلامية من بداية الفتح الإسلامى إنما هو كتاب « الولاة والقضاة » للكندى[1] الذى وفق إلى طبعه المستشرق الانجليزى جست ، وقد نقل عنه المؤرخون الذين جاءوا بعده الكثير مما دونه فى موسوعته . ولا ريب أنه سبقهم إلى الكتابة فى خطط مصر وآثارها وفى تاريخ قضاتها . وقد حذا حذوه فى الموضوع الأول ابن زولاق والقضاعى وابن دقماق والمقريزى والأوحدى والسيوطى ونسج على منواله فى الكتابة عن القضاة ابن زولاق وابن حجر العسقلانى وابن شاهين .

ويوجد مؤرخ مصرى آخر هو ابن عبد الحكم[2] المتوفى فى الفسطاط (٨٧١م) ويعد مؤلفه « فتوح مصر والمغرب » مرجعاً قيما لتاريخ مصر الإسلامية ، بل وتاريخ العرب فى مصر والمغرب ، وهو أقدم مؤرخ مصرى لمصر الاسلامية ولخطط مصر .

وكتب بعد الكندى مؤرخان مصريان كبيران ، هما الفقيه أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثى المصرى ، والأمير المختار عز الملك المسبحى ، وولد أولهما بالفسطاط سنة (٣٠٦ هـ — ٩١٨ م) وقد أدرك إنشاء القاهرة المعزية وتوفى سنة (٣٧٨ — ٩٩٧ م) وقد عنى بتاريخ مصر وألف كتابا فى سيرة الأخشيد وكتباً فى فضائل مصر وفى خطط مصر ، وكتباً أخرى فى سيرة جوهر وسيرة المعز وسيرة العزيز[3]

---

(١) ولد أبو عمر محمد بن يوسف الكندى بالفسطاط فى سنة (٢٨٣ هـ — ٨٩٧م) وتوفى سنة (٣٥٠ هـ — ٩٦١ م) وكان حجة ثقة فى معرفة أحوال مصر وأهلها وأعمالها وثغورها .

(٢) هو المؤرخ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم كان متضلعاً فى الشريعة الإسلامية ، وقد أثار سخط ابن طولون عليه حين رفض الموافقة على قرار الجمعية التى عقدها ابن طولون لخلع ولى عهد الدولة العباسية — راجع كتاب استخدام المصادر وطرق البحث للدكتور على ابراهيم حسن . ص ١٢٧ — ١٢٨

(٣) الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين . ص ٣٢٩

أما المسبحي فقد ولد بمصر سنة (٣٦٦ هـ — ٩٧٧ م) وتوفى سنة (٤٢٠ — ١٠٣٩ م) وكان من أقطاب الأمراء ورجال الدولة الفاطمية . تولى الوزارة للحاكم بأمر الله ونال حظوة لديه وشغل عدة مناصب هامة أخرى . ألف فى تاريخ مصر عدة كتب ، منها تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » الذى لم يصل الينا ولكن ذكر ابن خلكان عن رؤية ومعاينة أن تاريخه « بلغ ثلاثة عشر ألف ورقة »[1] .

وقد كتب أوتيقيوس بطريرك الإسكندرية المتوفى عام ٩٣٩ م والمعروف باسم سعيد بن البطريق (ت ٣٢٨ هـ) عدة كتب تاريخية أبرزها كتابه المشهور « نظم الجوهر ، أو التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » كما صنف عدداً آخر من المؤلفات الطبية .

ونذكر بين عداد المؤرخين المصريين : القضاعى[2] والجوانى[3] وأبو صالح الأرمنى[4] وابن عبد الظاهر صاحب « الروضة البهية الزاهرة والسيرة الظاهرية »[5] وابن المتوج « مؤلف إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل »[6] وابن الجيعان المتوفى فى أواخر القرن الثامن واضع كتاب « التحفة السنية » بأسماء البلاد المصرية . وهو عبارة عن ثبت للأقاليم والبلاد المصرية وذكر زماماتها وأنواع أراضيها من رزق وأحباس وغيرها وذلك حتى سنة ٧٧٧ هـ فى أواخر عهد الملك الأشرف . وقد نشرت دار الكتب

---

(١) الدكتور محمد عبد الله عنان : مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية . ص ٣٦

(٢) ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع وتوفى بها سنة (٤٥٤ هـ — ١٠٦٢ م) وقد أوفده المستنصر سفيراً إلى تيودورا امبراطورة قسطنطينية (١٠٥٥ م) وألف المختار فى ذكر الخطط والآثار .

(٣) الجوانى «النقط بعجم ما أشكل من الخطط» وقد اقتبس منه المقريزى فى عدة مواضع غير أنه يصعب أن نستدل بهذا الاقتباس على حقيقة ما خصه الجوانى بالبحث .

(٤) لأبى صالح مؤلف تناول فيه تاريخ الكنائس والأديار المصرية وإحياء الأقباط والنصارى وتاريخ القديسين والبطاركة وبعض أعمال الدولة وإقطاعها وخراجها — وقد طبع هذا الكتاب فى أكسفورد عام ١٨٩٥ — مصر الإسلامية للدكتور م . ع . عنان . ص ٤٠

(٥) هو القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر ولد بالقاهرة سنة ٦٢٠ هـ وتوفى بها سنة ٦٩٢ هـ (١٢٢٣ — ١٢٩٢ م)

(٦) هو القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج (٦٣٩ — ٧٣٠ هـ) (١٢٤١ — ١٣٣٠ م) .

المصرية هذا الكتاب سنة ١٨٩٨[١] .

ونذكر أيضاً المؤرخ الكبير صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى المعروف بابن دقماق[٢] صاحب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » وقد وصل الينا أيضاً كتاب « الجوهر الثمين فى سير الملوك والسلاطين » وجزء من مؤلف آخر هو « نزهة الأنام فى تاريخ الإسلام » .

وشهاب الدين الأوحدى (٧٦١ — ٨١١ هـ) (١٣٦٠ — ١٤٠٨ م)[٣] .
وابن الداية وابن أبى أصيبعة وابن الراهب القبطى وأبا شامة وابن واصل والقفطى وابن شداد . . إلخ .

كما وصل إلينا كتاب قوانين الدواوين ، وهو مؤلف يصور قوانين وأوامر الدولة المصرية على عهد حكم صلاح الدين الأيوبى . ومؤلفه الأسعد ابن مماتى[٤] . وممن ولدوا فى القاهرة أيضاً ابن الفرات مؤلف كتاب « تاريخ الدول والملوك » ولد عام ١٣٣٤ وقد أراد أن يضمن كتابه التاريخ الإسلامى فبدأ من القرن الرابع عشر للميلاد راجعاً للوراء بيد أنه وصل إلى القرن العاشر فحسب عندما وافاه أجله فى عام ١٤٠٦[٥] .

و إذ ذكرنا هؤلاء ، فيتعين أن نثبت بحق ألمع المؤرخين المصريين الذين خلدت مؤلفاتهم التى كتبوها فى القرن الخامس عشر (التاسع الهجرى) وهى تعد مكتبة مجيدة فى التراث المصرى الإسلامى . و يعتبر أحمد بن على المقريزى ألمع جماعته .

---

(١) الدكتور محمد عبد الله عنان . مصر الإسلامية — ص ٤٣

(٢) ولد بالقاهرة سنة ٧٥٠ هـ وتوفى بها سنة ٨٠٩ هـ (١٣٤٩ — ١٤٠٦ م) .

(٣) راجع حسن المحاضرة — جـ ٢ ص ٢٦٦

(٤) هو أبو المكارم أسعد بن المهذب المصرى القبطى الأصل ناظر دواوين مصر المتوفى بحلب سنة (٦٠٦ هـ ١٩٠٢ م) عن اثنتين وستين سنة . راجع ترجمته فى المقريزى جـ ٢ ص ١٦٠ — وقد طبع كتابه على نفقة الجمعية الزراعية الملكية باشارة صاحب السمو الأمير عمر طوسون — وراجعه وحققه الدكتور عزيز سوريال عطية — عام ١٩٤٣

(٥) لا يزال كتاب ابن الفرات محفوظاً فى دار الكتب المصرية (رقم ٣١٩٧) — راجع ترجمته فى الضوء اللامع جـ ٨ ص ٥١

وكتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » يعتبر المرجع الفريد لدراسة مصر الإسلامية لجميع المؤرخين . ومن أهم أسفاره :

عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط — اتعاظ الحنفا بأخبار الخلفا — السلوك لمعرفة دول الملوك — المقفى الكبير — العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة — النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم — إغاثة الأمة بكشف الغمة . ويعمل الدكتور زيادة منذ سنوات فى إخراج طبعة علمية للسلوك .

وقد صمم المقريزى مشروع دائرة معارف من ثمانين مجلداً ليسجل فيها حياة أعلام المصريين ؛ بيد أنه لم يكمل منها إلا ستة عشر جزءاً فحسب . كما أنه لم يكمل أيضاً مؤلفاً آخر هو كتابه (درر العقود) . وفضلا عن هذا كله فللمقريزى بضعة بحوث فى علم الحديث[1] .

ومن مؤرخى مصر المعاصرين للمقريزى أحمد بن حجر الذى عرفنا من مؤلفاته :

فتح البارى فى شرح البخارى — المجمع المؤسس والمعجم المفهرس — الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة[2] .

وكذلك العينى صاحب (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان)[3] . وابن عربشاه مؤلف « عجائب المقدور فى أخبار تيمور »[4] . وخليل بن شاهين صاحب « زبدة

---

(١) ولد المقريزى بالقاهرة سنة (٧٦٠هـ-١٣٦٤) بحارة برجوان بقسم الجمالية الحالى وانكب على الدرس والتحصيل وأظهر نجابة ومقدرة ثم التحق بديوان الإنشاء بالقلعة حيث ظل يعمل موقعاً حتى سنة ١٣٩٨ عند ما اختاره السلطان برقوق لوظيفة محتسب القاهرة والوجه البحرى . فتولاها ثم تنحى عنها مرتين فى عامين وفى سنة ١٤٠٨ انتقل إلى دمشق للاضطلاع بمنصب كبير ولتولى التدريس أيضاً ، ورحل إلى عدة بلدان وتوفى عام (٨٤٥ هـ - ١٤٤٢) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ج ١ ص٥٣٢ وفى المنهل الصافى ج ١ ص ٢٣٣ ، وفى « المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى » للدكتور محمد بك مصطفى زيادة ص ٣ - ١٧

(٢) راجع ترجمة حياته فى المصدر السابق ص ١٨ - ٢٠

(٣) هذا الكتاب يقع فى ٢٣ جزءا ، وهو محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ معارف - وقد ولد العينى فى الشام ، وجاء إلى مصر وعين فى أوائل القرن التاسع الهجرى محتسباً للقاهرة والوجه البحرى .

(٤) هو أحمد بن عبد الله شهاب الدين المعروف بابن عربشاه ولد سنة (٧٩١ هـ - ١٣٨٩م) بدمشق ورحل منها إلى بلدان عدة . ونزح إلى القاهرة فى زمن الملك الظاهر جقمق . ومات عام =

كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك»[1]. وأبو المحاسن بن تغرى بردى الذى ألف عدة أسفار فى التاريخ الإسلامى نذكر منها :

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — الدليل الشافى على المنهل الصافى — مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة — حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور — نزهة الرائى فى التاريخ — البحر الزاخر فى علم الأوائل والأواخر — نزهة الألباب فى اختلاف الأسماء والألقاب — حلية الصفات فى الأسماء والصناعات — البشارة فى تكملة الإشارة — الانتصار للسان التتار — الرياضيات والموسيقى — السكر الفاضح والعطر القائح[2].

وعاصر أبا المحاسن اثنان من مشاهير المؤرخين هما ابن الصيرفى[3] وأبو الخير السخاوى[4].

ولأولهما : نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان — أنباء الهصر فى أبناء العصر — سيرة الأشرف قايتباى — الجوهرية فى السيرة النبوية .

ولثانيهما عدة مؤلفات قيمة أهمها : التبر المسلوك فى ذيل السلوك — ذيل تاريخ دول الإسلام — الذيل المتناهى — الذيل على طبقات القراء — المنتقى من تاريخ

= (٨٥٤ هـ — ١٤٥٠) راجع جورجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . ج ٣ ص ١٥٥ — ١٥٦

(١) توفى خليل بن شاهين الظاهرى عام ١٤٦٩

(٢) ولد أبو المحاسن فى القاهرة فى يناير سنة ١٤١١ م بدار الأمير منجك اليوسفى بحى القلعة الحالى — تقلد كثيراً من الوظائف الرفيعة فى الدولة المملوكية ونهض بمسئوليات كبيرة منها نيابة دمشق وأتابكية العساكر بمصر . وتزوج السلطان فرج من كبرى بناته فاطمة . وتوفى سنة ١٤٧٠ (راجع ترجمته فى كتابه النجوم الزاهرة طبعة كاليفورنيا ج ٦ . ص ٤٣٢ — ٤٣٥)

(٣) ولد ابن الصيرفى بالقاهرة سنة ١٤١٦ وتعلم تعليماً يسيراً وتتلمذ لابن حجر العسقلانى واشتغل بالتجارة والخطابة فى المساجد وغيرها من الوظائف الصغرى . وكانت وفاته فى يونيو سنة ١٤٩٤

(٤) ولد أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوى عام ١٤٢٧ بحارة بهاء الدين لصق باب الفتوح القديم بالقاهرة وتتلمذ لابن حجر العسقلانى وحج مع أبيه وأمه سنة ١٤٥٢ فأقام بمكة بضع سنين وجاور بها . وتنقل بعد ذلك بين مصر والشام والحجاز فحج خمس مرات . وتوفى السخاوى بالمدينة سنة ١٤٩٧

مكة — تلخيص تاريخ اليمن — الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع — الجواهر والدرر فى ترجمة ابن حجر — القول المنبى فى ترجمة ابن عربى .

وكان محمد بن أحمد بن إياس المصرى كأبى المحاسن سليل أسرة مملوكية [1] ترك لنا : بدائع الزهور فى وقائع الدهور — عقود الجمان فى وقائع الزمان — نزهة الأمم فى العجائب والحكم — مرج الزهور فى وقائع الدهور — نشق الأزهار فى عجائب الأقطار .

ومن زملاء ابن إياس — المؤرخ جلال الدين عبد الرحمن بن محمد السيوطى الذى كتب فى فنون عدة — من أهمها كتب التاريخ الآتية :

حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة — تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين — تاريخ السلطان الأشرف قايتباى — بدائع الزهور فى وقائع الدهور — تاريخ أسيوط — الشماريخ فى علم التاريخ — نظم العقيان فى أعيان الأعيان — الملتقط من الدور الكامنة [2] .

والمؤرخ عبد الباسط بن خليل بن شاهين الذى تقدم التعريف به من سلالة أسرة مملوكية ؛ وقد ولد بملطية بأطراف آسيا الصغرى حيث كان أبوه متولياً نيابتها من قبل السلطان جقمق . وقد شغف بالسفر و بالتحصيل الواسع ثم استقر أخيراً بالقاهرة فنزل بالخانقاه الشيخونية وتصوف واعتبره السخاوى من تلاميذه فى التاريخ . ومن مؤلفاته المعروفة فى التاريخ كتاب « نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين » وكتاب « نيل الأمل » وهو تكملة لتاريخ الذهبى وكتاب « الروض الباسم فى حوادث العمر والتراجم » وكتاب « تاريخ الأنبياء » . وتوفى عبد الباسط سنة ١٥١٤ بعد مرضه بالسل .

---

(١) ولد ابن إياس بالقاهرة سنة ١٤٤٨، وقد أنجب فى حياته الطويلة (٨٤ سنه) خمسة وعشرين ولداً مابين ذكور وإناث . عاش عيشة راضية واشتغل بالتأليف فى التاريخ ونظم الشعر والزجل والمواويل والموشحات . وهو معاصر للسيوطى وابن خليل وابن طولون الدمشقى وابن زنبل الرمال وكانت وفاته فى عام ١٥٢٤

وزميله حسن بن حسين الطولونى المولود فى عام ١٤٣٢، مال إلى التاريخ والفقه والأدب والغناء والفروسية ، ونال حظوة لدى السلطان إينال والسلطان قايتباى الذى ولاه نيابة القلعة فوجده خادماً مخلصاً لقيامه بتحصينها تحصيناً عظيما . ولابن الطولونى كتاب « النزهة السنية فى ذكر الخلفاء والملوك المصرية » . وقد مات عام ١٥٧١ .

وينبغى علينا أن نضيف إلى رجال التاريخ المصريين :

الأدفوى (توفى سنة ٧٤٨ هـ - ١٣٤٧ م) صاحب الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد — والبدر السافر وتحفة المسافر فى تراجم مشاهير القرن السابع — والمؤرخ ابن قطلوبغا (توفى سنة ٨٧٩ هـ - ١٤٧٤) . والمؤرخ ابن وصيف شاه المصرى صاحب « جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور » . وجمال الدين بن واصل الفقيه الفيلسوف المؤرخ صاحب مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب . والمؤرخ أبو البقاء ابن الجيعان (توفى نحو عام ٩٠١ هـ - ١٤٩٥ م) صاحب القول المستظرف فى سفر الملك الأشرف ... وغيرهم .

وللمؤرخ ابن زنبل الرمال كتاب تاريخ أخذ مصر من الجراكسة — والدرة اليتيمة فى مصر القديمة — وتحفة الملوك والرغائب لما فى البر والبحر من العجائب والغرائب — وقد توفى بعد سنة ١٥٥٢ .

* * *

فإذا كان القرن التاسع عشر وجدنا مؤلفات الشرقاوى[1] التى سجلت تاريخ مصر حتى شملت حملة نابليون . ثم كتاب الجبرتى صاحب (عجائب الآثار) وهو آخر ما كتب فى التاريخ المصرى . ثم مؤلفات على باشا مبارك (١٨٢٣ - ١٨٩٣) الذى تولى عدة مناصب عامة كان آخرها ناظر المعارف المصرية . وفى طليعة مؤلفاته (الخطط التوفيقية) الذى قصد به أن يكون تكملة لكتاب المواعظ والاعتبار لسلفه المقريزى .[2]

---

(١) هو العلامة عبد الله بن حجازى بن ابراهيم الشافعى شيخ الجامع الأزهر المولود ببلدة الطويلة بالشرقية فى حدود سنة ١١٥٠ هـ والمتوفى بالقاهرة سنة ١٢٢٧ هـ

راجع ترجمته فى عجائب الآثار للجبرتى ج ٤ ص ١٥٩

(٢) راجع كتاب تاريخ أدب اللغة العربية لجورجى زيدان .

وبهذا تم الحديث عن الجانب الذهنى من نصيب مصر فى الثقافة الاسلامية والطابع الاسلامى للتأليف والتحرير. ولكن ينبغى أن نوجه النظر إلى أننا لم نأت — فيما عدا الذكر العابر — على مشاهير المؤلفين الذين لم يولدوا فى مصر ، ولكنهم أمضوا الشطر الأكبر من فترة إنتاجهم الفكرى فى مصر ، يستمتعون بالعطف والتعضيد والحماية التى يشملهم بها الولاة والسلاطين على مر السنين . ولا ريب أنه كان لمصر نصيب كبير من الفضل فى تراثهم الخالد .

و إذا كنا قد انتهينا من حديث التأليف والكتابة — فقد بقى علينا أن ننتقل إلى الإنتاج الفنى لمصر طوال العهد الاسلامى . والحديث عن الناحية الفنية قد يكون أقل استقراراً من الحديث عن التحرير والتأليف . على أننا سنتحدث عن فن العمارة وعن الصناعات اليدوية والفنون التطبيقية ، وعن تباين النواحى الفنية الأخرى.

كانت مصر فى ميدان الفنون الاسلامية مهد طرازين من أبدع الطرز الاسلامية هما الطراز الفاطمى والطراز المملوكى - ولكن ما هو موقف مصر قبل العهد الفاطمى ؟

لقد وجد الفاتحون العرب فى مصر فنانين مهرة ، ولا سيما فى النسج والحفر فى الخشب وصناعة الزجاج ؛ وكانت للمعماريين المصريين شهرة واسعة فى فجر الاسلام . فقد وجدت أوراق بردى على مقربة من سوهاج ثبت من نصوصها أن فريقاً من مهرة البنائين المصريين استخدموا فى المسجد الجامع بدمشق ، وفى المسجد الأقصى فى بيت المقدس — والمعروف أن أول محراب مجوف بنى فى الاسلام شيده بناءون من القبط كانوا يعملون فى الحرم النبوى بالمدينة . هذا فضلا عن أن كثيراً من الموضوعات الزخرفية التى استخدمها الفنانون المسلمون فى مصر مشتقة من الموضوعات الزخرفية القبطية والاغريقية والرومانية فى وادى النيل[1] .

---

(١) الدكتور زكى محمد حسن . مصر والحضارة الاسلامية . ص ٣٦ ـ ٣٧

لقد أفاد الفنانون المصريون لأجيال متعاقبة من أعمال صناع البلدان المجاورة، واتخذوا منها نماذج قبل أن يكونوا طرازاً خاصاً، كما حدث فيما بعد ولكن ينبغي فى هذا المقام ألا ننسى أن مصر كانت لفترة طويلة من تاريخها الإسلامى تشترك مع الشام فى ولاية إدارية واحدة. وكان نقل رجال الصناعة طليقاً بين نواحى العالم الاسلامى — هذا إذا جاز لنا أن نستعمل هذا الأسلوب المهذب فلا نقل النقل بالارغام — وكان الصناع والمشرفون على البناء من غير المسلمين يخدمون تابعين للولاة المسلمين حيث شاءوا أن يوجهوهم. وكان الصناع الأقباط — وبخاصة فى مصر — يدينون بالولاء للفاتحين المسلمين ويتعاونون معهم. وهؤلاء، ولا ريب، من مهرة الصناع ولا سيما فى صناعة النسيج والتطريز والزخرفة — الشيء الذى تدل عليه مخلفات العهد القبطى وتأثيرها فى تطور الفن الإسلامى.

وللحصول على معلومات تفصيلية عن طبيعة كل فرع من فروع الفن ينبغى الرجوع إلى ما كتبه الإخصائيون فى كل فرع. ويتعين أن نتذكر أن الفن، كجملة واحدة مجموعة معاً، إنما تضيء فى مجموعها معاً. ولهذا قد يكون من التعسف أن نحاول فصل نواحى الفن عن بعضها البعض. وقد نلقى حديثاً طيباً فى هذا الشأن فى مقال قديم للدكتور بتلر عن (الخزف الاسلامى) وهو مقال يصلح ليصور لنا كيف يختلف الإخصائيون أساسياً فى الميادين التى جعلوها موطن صناعتهم.

وعلى ذكر مقال بتلر قد يكون طريفاً لو رجعنا إلى مقال « الخزف الصينى فى مصر » بقلم « بول كاله » وما جاء فيه عن استيراد الفاطميين ومن قبلهم الطولونيون للخزف الصينى فى أجمل صناعاته مما يذكره المقريزى عند التحدث عن كنوز الفاطميين فى قصورهم. [راجع كتاب كنوز الفاطميين للدكتور زكى حسن]

وفى بحث قيم لسارجنت بعنون «المنسوجات فى عهد الخلافة الاسلامية» حديث شائق عن صناعة النسيج فى مصر وشهرة شطا ودمياط فى تلك الصناعة.

وكان الطراز المهارى فى التصميم والزخرفة فى مصر قد اتخذ نموذجاً له فيما شيد في

بغداد وسر من رأى . نجد هـــذا واضحاً فى تلك الدرة المعمارية — مسجد ابن طولون — وينبغى أن نذكر أنه قد حرم منذ تاريخ مبكر إبراز الصور البشرية فى الفن . ولـكن لا مرية فى أن التحريم ، وإن وضح فى الآثار العامة ، لم يلاحظ إطلاقاً فى الدور الخاصة .. فالشيعة فى فارس قد أغفلوا هذا .. وفى لفحة هذه النفحة الإنسانية وصلتنا عدة نماذج للنحت ، إلا أن هذا الفن فى الواقع لا وجود له فى مصر الإسلامية . وفى غمرة هذا التجديد كان لزاماً أن يجد الفن له مخارج أخرى .. ولم تـكن هذه المنافذ سوى تطورات فى التصميم الهندسى نفسه واستخدامه فى كل المواد على متفاوت أنواعها . وقد وجد الفنانون متسعاً لإبراز فنهم فى صناعة تجليـد المصاحف والـكتب . . وهى صناعة بدأت فى وقت مبكر فى مصر . كما وجد فنانو هذه الصناعة أن للفن القبطى تأثيره القوى فى كل الطرز البدائية الأولى . ولـكن لم يلبث هؤلاء أن كان لهم طابعهم الخاص . وكان لرسوم الانسان والحيوان بدورها أثرها فى هذه الصناعة ببلاد فارس . ولـكن كل هذا لم يكن له أى نصيب يذكر فى هذه الصناعة فى مصر[1] .

على أن مصر الاسلامية عرفت فناً آخر كانت له قيمته وكان لرجاله قدر فنى . هو فن الخط . ويجىء عندهم فى طليعة الفنون الاسـلامية . فقد كان الولاة والأمراء يدفعون ، عن طيب خاطر ، الهبات الطائلة للخطاطين المهرة لـكتابة آيات القرآن الـكريم بالخط النسخ . وفى دار الـكتب المصرية بالقاهرة مجموعة فريدة من المصاحف والمخطوطات[2] .

واستخدمت الـكتابة أيضاً فى زخرفة جدران المساجد وغيرها من المدارس

---

(١) راجع كتاب فنون الاسلام . الدكتور زكى محمد حسن . ص ٢٣٩ ــ ٢٣٢

(٢) المصدر السابق : ص ٢٣٤ ــ ٢٤٧

هذا وأقدم مانعرفه من جلود الـكتب الفنية الإسلامية ينسب إلى مصر فى القرنين الثانى والثالث بعد الهجرة (٨ ــ ٩ م) . ولا ريب أن سائر الأقطار الاسلامية تأثرت بزخارفها وأساليبها الصناعية بل إن تأثيرها امتد إلى جنوبى أوربا ولاسيا إيطاليا (الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية . ص٣٧)

والأسبلة ، ولا تزال توجد بالقاهرة نماذج جيدة لها . وقد وجد الخط الكوفى ، لاسيما إذا كان يطل من زخارف أخرى متداخلة ، أصلح من غيره للنقش فى الحجر .

ونشأت صناعة أخرى لها مكانتها فى الفن الإسلامى ... هى صناعة المشربيات الخشبية والتى تزين الدور الخاصة والمبانى العامة على السواء . ولا تزال ترى بعض قطعها النادرة فى قليل من دور القاهرة التى خلفتها العصور الإسلامية .

واستخدم العاج والعظم فى أعمال الزخرفة كما استخدمت سلوك الذهب والفضة والميناء فى زخرفة الأحجار والمعادن . وكل هذا يدل على مهارة صناع مصر ، وعلى روح الفن التى سادت الصناعة . وفى مصر والقاهرة خاصة ودور التحف ، من الأدلة الساطعة على تفوق رجل الفنون المسلم .

وكانت المنسوجات المصرية الإسلامية والتحف المصنوعة من البلور الصخرى ذات شهرة عالمية فى العصور الوسطى . هذا وتيسر الاهتداء إلى معلومات قيمة فى تاريخ صناعة النسيج وتطورها فى مصر تبعاً لأعمال التنقيب والبحث فى الفسطاط وغيرها من المدن الاسلامية . على أن هذه البحوث دلت على أن الفن القبطى لم يمت عندما دخل المسلمون مصر ، بل ظلت له آثاره وطابعه الخاص مما يدل على الطلاقة والحرية التى عاش فيها الأقباط متآخين مع المسلمين من العرب .

ونشأت فى مصر وازدهرت صناعة السجاد . وبالرغم من أن هذه الصناعة لم تصل إلى درجة صناعة فارس وتركيا فى الجودة إلا أنه كان لها شهرتها وطابعها الخاص الواضح فى طراز زخرفتها .

كذلك تأثر فن نحت المعادن بعدة مؤثرات أجنبية من خارج مصر ، أهمها التى جاءت من الموصل . ولكن مع هذا قد ازدهرت إلى درجة كبيرة فى أيام المماليك .

وبلغت ذروة نهضتها وتقدمها إبان القرن الرابع عشر الميلادى . وقد أدخلت فى هذه الصناعة المصرية بعض طرز إيرانية كصور الحيوان ... والنباتات ثم اتخذت الأشكال والرسوم الهندسية .

على أن كل هذه الصناعات قد ازدهرت فى عصرين أولهما : أيام الفاطميين ؛ وسبب ذلك اضمحلال سلطة بغداد وتوزع صناع العراق المهرة بين مختلف البلدان الإسلامية . فكان نصيب مصر منهم نصيب الأسد .. أما العصر الثانى فكان فى أيام السلاطين والمماليك .

وإنا لنلمس فى ذلك الوصف الرائع الذى دبجه (ستانلى لينبول) فى كتابه « الفن الإسلامى فى مصر » تلك الأبهة الفاخرة والوجاهة الزاهرة التى كانت تتسم بها حياة سلاطين مصر فى قصورهم ومحافلهم ، ورونق بلاطهم ، وترفههم فى معاشهم ورياشهم وطنافسهم وملابسهم وتنميق بيوتهم وتكفيت أسلحتهم ... كل ذلك نلمحه بين تلك السطور الدارسة من آثارهم الجميلة التى نجت من يد الفناء ... تلك الآثار القليلة المحفوظة فى دار الآثار العربية أو فى متاحف الغرب .

وقد اشتهرت مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بصناعة نوع فريد من المنسوجات الصوفية عرفت باسم الطراز . وكانت تقوم صناعتها فى مدينة تانيس. ويقال إنه كان بها ثمانون منسجاً للأقمشة . وكان السلطان يستمد منها ما يلزمه من الطنافس والملابس وكان من منتجات هذه المدينة أيضاً ستائر الكعبة التى ترسل سنوياً إلى مكة فى صحبة المحمل .

لا غرو فى روعة ذلك التراث ! فقد كانت خيرات مصر واسعة إلى أبعد حد . وكان بين يدى حكام مصر ثروتها الطبيعية ، فضلا عن الأرباح الوفيرة التى كانوا يجنونها من مرور تجارة الشرق فى مصر والشام . وأصبحت مصر المركز الرئيسى لتبادل التجارة بين آسيا وإفريقية وأوربا منذ أن ضعفت بغداد ثم سقطت فى يد المغول . فصار ثغر الاسكندرية (مخزن العالم) كما كانوا يسمونه إلى أن كشف طريق رأس الرجاء الصالح فكان ذلك سبباً فى خراب مصر المالى وإيذاناً بسقوط دولة المماليك[1] .

---

(١) الدكتور زكى محمد حسن : مصر والحضارة الاسلامية . ص ٣٧

العمارة الإسلامية

ولا شك أن تاريخ العمارة الإسلامية لا يبدأ فى مصر . بل مهده الأول فى شبه الجزيرة العربية والعراق والشام . فالمساجد الأولى شيدت فى مكة والمدينة . وفى الشام حولت أهم الكنائس إلى مساجد . ثم العراق حيث انتفع الخلفاء برجال العمارة من أهالى إيران فى بناء المساجد والمدن والقصور . كل هذه الأمم تنازع مصر فى فن العمارة الإسلامية .

ويتسنى القول بأن لاشىء له قيمة ما قد شيد فى مصر خلال القرنين الأولين للحكم الإسلامى . ولكن عهد الطولونيين كان مستهل فترة انتقال وتطور واسع المدى . فقد شيد أحمد بن طولون مسجده على نسق مساجد بغداد وسر من رأى . وشيد عاصمة القطائع على طراز عاصمة المستعصم .

وكان العهد الفاطمى فترة نشاط فى فن العمارة . و بالرغم من أن الجامع الأزهر قد أدخلت عليه التعديلات المتعاقبة إلا أن تخطيطه الأصلى يتيسر الاهتداء إليه . ولا غرو أن صورته الأولى تدل على الروح الفاطمية فى فن البناء . أما جامع الحاكم بأمر الله — وقد شيد بين عامى ٩٩٠ و ١٠١٢ م — فإنه يدل على تأثر عميق بالروح السورية والعراقية :

وقد شيد صلاح الدين التحصينات العسكرية للقاهرة . كما بنى الجزء الأكبر من السور العظيم الذى يحيط بالمدينة . وشيد القلعة التى ما انفكت تظل العاصمة من الشرق . كما وضع الأساس الأول لطراز المدارس فى المساجد . ثم فى عصر متأخر أنشأ هذه الدور العلمية على ذات الطابع الذى كان الصليبيون يقيمون عليه معاهدهم أو حصونهم فى إمارة بيت القدس .

ونستطيع أن ندرك أثر المماليك البحرية فى فن العمارة فيما شيدوه من العمائر الرائعة فى القاهرة . وحينما نجوس خلال جامع الظاهر بيبرس الأول (١٢٦٩ م)

والناصر محمد (١٣١٨ — ٣٥) والماريدانى (١٣٤٠) — وفى ذلك العهد استخدم الخشب فى صناعة القبة الكبيرة المقامة على الضريح — والمدرسة العظيمة التى شيدها السلطان حسن (١٣٥٦ — ٦٨) والتى يقول عنها الأستاذ كريسويل فى أحد فصول كتاب « الفن المصرى » :

« عند ما يقف المرء لدى مدخل الصحن العظيم ويرقب الزخارف الجميلة التى لا تزال لها طلاوتها الأولى ، ويلاحظ بساطتها .. ثم يتأمل سعة البناء وارتفاع جدرانه ، وهذه المئذنة التى تعلو الركن الجنوبى — فإنه لا يتمالك نفسه من أن يقرر أن هذه المدرسة من المبانى الأثرية العظيمة فى العالم أجمع » .

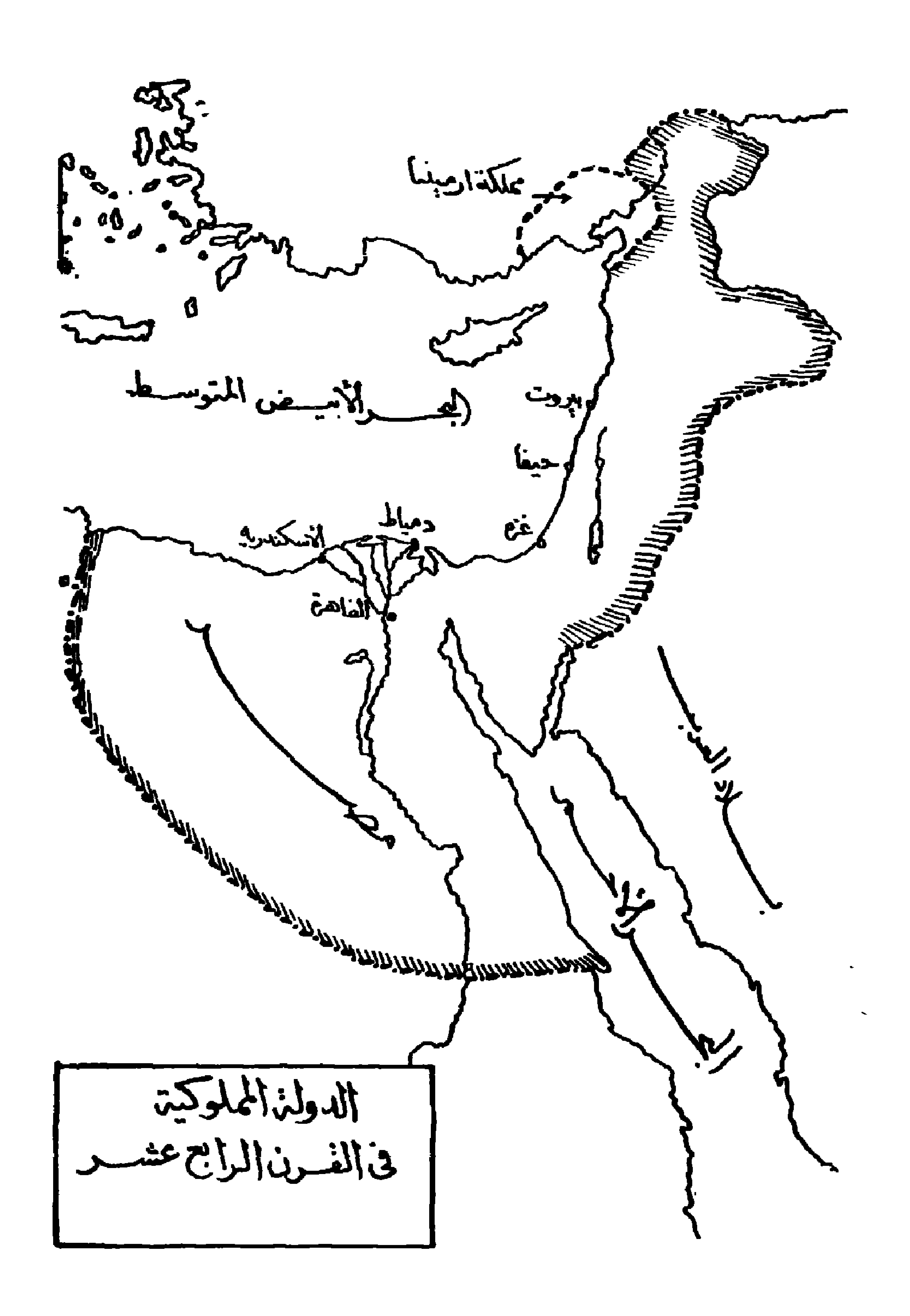
وأضاف سلاطين المماليك البرجية .. الكثير إلى عظمة القاهرة . ولا سيما السلطان برقوق الذى شيد جامعه وخانقاه فى صحراء العباسية .

وبالرغم مما لحق مصر من الكساد التجارى منذ القرن السادس عشر فقد بقيت لها وللفن المصرى ذلك الطابع الإسلامى الفريد .. ذلك الطابع الذى لم يتحول إلى ناحية الغرب حتى نهاية القرن الثامن عشر .

وتوجد بعض العمائر مبعثرة .. تحمل الطابع العثمانى . ولكن لا شك أن المبانى العامة والخاصة التى بنيت فى القرن الذى تبع العهد التركى إنما تماثل نماذج جيدة . كان من الميسور أن يقام مثلها فى أحدث المدن الأوربية .

* * *

ومع ما أصاب مصر بعد الفتح العثمانى ، فقد ظلت تتصدر العالم الإسلامى كله . ولا تزال لها الروح القوية الوثابة التى تجعلها زعيمة الأمم الاسلامية بأسرها وهى ، ولا شك ، فى عصر التحرير الأخير تقود العالم الإسلامى برمته إلى عصر ميلاد .. ونهضة روحية وثقافية .. وبذلك تضطلع بدورها فى إيجاد تفاهم عالمى ينهض على التعاون والوئام ، يكون فيه للمسلمين طابعهم الخاص الذى يجمع بين مجد الإسلام القديم وحضارة الغرب الحديثة . ولكن فى صورة تجعل للمسلمين طابعهم المميز ..



الدولة المملوكية
في القرن الرابع عشر

مراجع

— الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف :

مصر فى فجر الاسلام من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية . دار الفكر العربى عام ١٩٤٧ .

مصر فى عصر الأخشيديين . جامعة فؤاد الأول عام ١٩٥٠ .

— الدكتور زكى محمد حسن بك :

مصر والحضارة الاسلامية . سلسلة الثقافة العسكرية . عام ١٩٤٣ .

فنون الاسلام . مكتبة النهضة المصرية .

— الدكتور حسن إبراهيم حسن بك والأستاذ طه أحمد شرف :

عبد الله المهدى مؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب . عام ١٩٤٧ .

المعز لدين الله مؤسس الدولة الفاطمية فى مصر . عام ١٩٤٨ .

— الدكتور أحمد أمين بك :

فجر الاسلام . لجنة التأليف والترجمة والنشر . عام ١٩٣٥ .

— ابن خلكان :

وفيات الأعيان .

— ديوان ابن الفارض . مطبعة حجازى — القاهرة .

— الدكتور أحمد أمين بك والدكتور زكى نجيب محمود :

قصة الأدب فى العالم عام ١٩٤٥ .

— دى بور وترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة :

تاريخ الفلسفة فى الاسلام .

— الدكتور محمد عبد الله عنان :

مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية .

المراجع الأجنبية

S.R.K. Glanville.
The Legacy of Egypt.

Dr. Zaky Moh. Hassan.
Les Tulinides.

Encyclopedia of Islam (4 vols. + supplement).

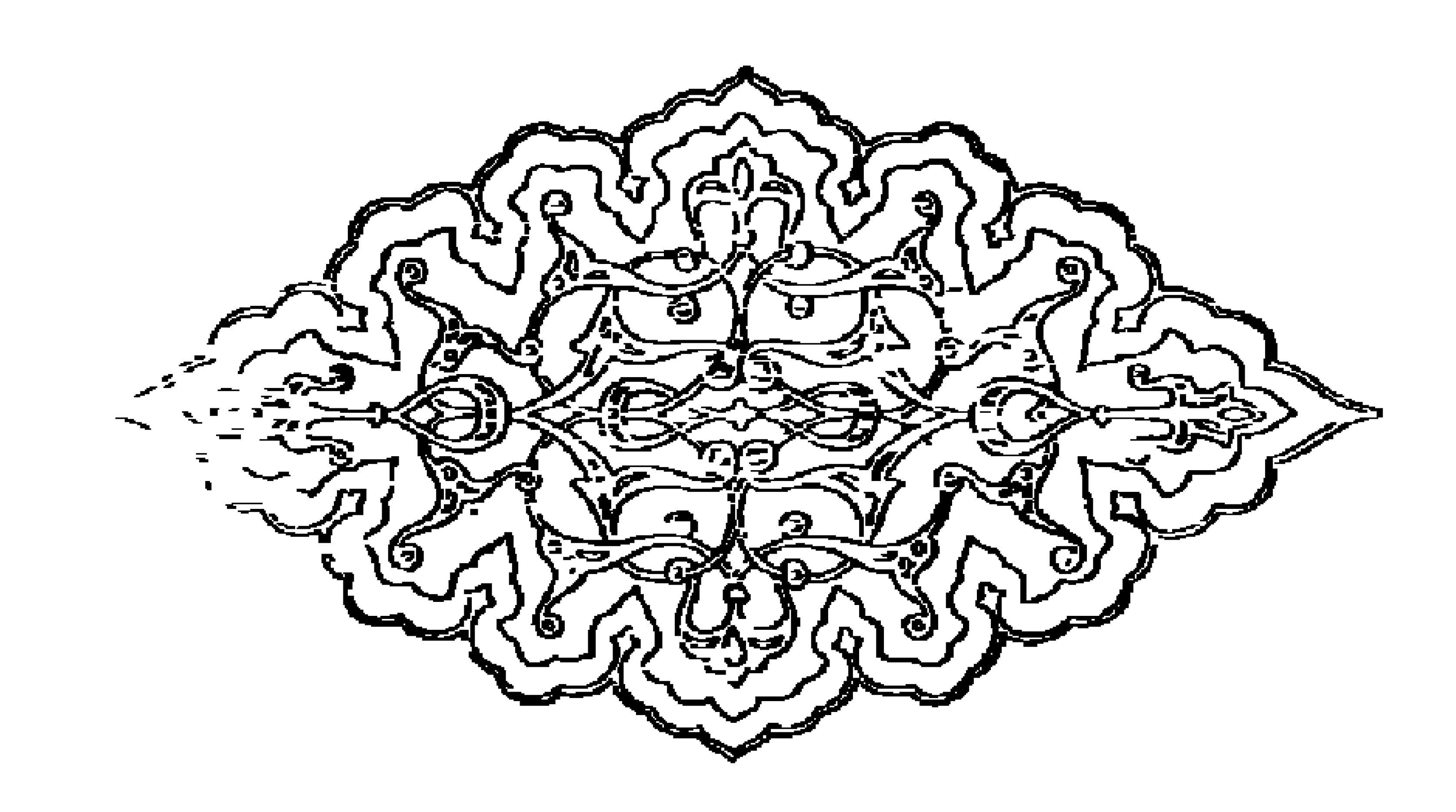
The legacy of Islam (ed. Sir Thomas Arnold & A. Giullume)

S. Lane-poole:
A History of Egypt in the Middle Ages, London, 1951.

Sir E.D. Ross:
The Art of Egypt, London, 1930.

A J. Butler:
The Arab Conquest of Egypt, Oxford, 1902.

M.S. Dimand:
A Handbook of Mohammedan Decorative Art.
New York. 1930.



فهرس

اقرأ الناحية الحربية بتوسع
فى كتاب مصر الظافرة للمؤلف

من كتب المؤلف

التاريخ الحربى لعصر محمد على الـكبير
وملحق به أطلس للمعارك الهامة ٤٥٠ صفحة — ٨٥٠ مليما
نشرته الجمعية الملـكية للدراسات التاريخية

الأعلام وشارات الملك فى وادى النيل
نشرته دار المعارف ومحلى بالصور الملونة والرسوم التاريخية ٣٠٠ مليم

الزيت فى الشرق الأوسط
نشرته دار الفـكر العربى ومزود بالرسوم والخارطات ٢٠٠ مليم

دور التحف والجمعيات العلمية فى مصر
يقدم للقارئ أهم مقتنيات دور التحف فى مصر ١٥٠ مليما

السلاح فى الإسـلام
أداة من أدوات الباحثين فى التاريخ الاسـلامى ١٥٠ مليما
نشرته الجمعية الملـكية للدراسات التاريخية

النصر
دستور النصر فى الأمم القديمة والحديثـة فى عصر الذرة ١٠٠ مليم

تطلب من جميع المـكتبات

ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة



ملتزم الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية
شارع عدلي باشا بالقاهرة



دار النيل للطباعة